الدليل والبرهان

على استحالة التعارض والتناقض في كلام رسول الرحمن

الشيخ الدكتور سمير بن أحمد الصَباغ

الدليل والبرهان

على استحالة التناقض في كلام رسول الرحمن

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

د. سمير بن أحمد الصباغ

حقوق الطباعة مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

الدليل والبرهان

على استحالة التناقض في كلام رسول الرحمن

صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم

جمعه فضيلة الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

غفر الله له ولوالديه ولـمشايخه وجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

القرآنُ الكريمُ والسُّنةُ الصحيحة وحيٌ من عند الله تعالى، ومن المستحيل أن يوجَدَ في وحيِ اللهِ تعالى تعارضٌ أو اختلاف؛ لأن اللهَ يقولُ عن الوحي: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [النساء:٨٢].

ولما كان القرآنُ والسُّنة الصحيحةُ وحيًا من عند الله تعالى، فلا تعارضَ ولا اختلافَ بين نصوصهما.

وإذا ظهر لأحدٍ أن هناك تعارضًا ظاهريًّا بين نَصَّينِ صحيحين فإنما هو في فَهمِه هو، بسببِ جهلِه، أو قلة علمه بالناسخ والمنسوخ، أو الصحة والضعف في الدليل، أو الجهل بالجمع بين الأدلة ونحو ذلك.

وأكثر مَن يدَّعي التعارضَ والتناقُضَ بين نصوص الوحيينِ الشريفين هم الزنادقةُ المُغْرضون الذين يريدون تشويهَ الإسلامِ والطعنَ في القرآن والسُّنة.

وقد اعتنى علماءُ الإسلام قديمًا وحديثًا بالكتابة والبحث في النصوص التي يُوهِمُ ظاهِرُها التعارضَ كالإمام الشافعيِّ والطحاويِّ وغيرهما؛ لبيانِ استحالة التعارضِ بين نصوص الشريعة، وللردِّ على المغرضين.

ونخصُّ في هذه الرسالةِ الحديثَ عما يوهِمُ ظاهِرُه التعارضَ بين نصوص السُّنة الصحيحةِ في بعضِ مسائلِ العقيدةِ، ولم نقصِدِ استقصاءَ ما ورد في هذا الباب من أمور العبادات، والمعاملات والأخلاق.

ومن قواعد أهل السُّنة والجماعة في هذا الشأن:

١ـ وجوبُ العمل بظواهر النصوص وما دلَّ عليه السياقُ.

٢ـ وجوبُ لزومِ فهم الصحابة الكرام لنصوصِ القرآن والسُّنَّة، لأنهم أعلَمُ الناسِ بلغةِ العربِ ومقاصدِ الشريعة، وفيهم نزل القرآنُ والسُّنَّة، وتربَّوا على يَدَيْ رسولِ الله ﷺ، وأخذوا عنه العلمَ غضًّا طريًّا، وقد أمرَنا اللهُ باتِّباعِهم بإحسانٍ في فَهمِ الوَحيينِ والعملِ بهما.

٣ـ وجوبُ العمل بالمُحكَم والإيمانِ بالمتشابه.

ونُبيِّن في هذه الرسالة بمشيئةِ الله تعالى عدةَ أمور، منها:

أ – أسبابُ وقوعِ التعارض الظاهري بين النصوص عند البعض.

ب – مسالِكُ العلماء عند هذا التعارض الظاهري.

ج ـ عنايةُ العلماءِ بمشكِل الحديث لدفعِ التعارض والاختلاف.

د ـ ذِكرُ عدةِ مسائلَ تتصل بأبواب الاعتقاد مما يوهِمُ ظاهِرُها التعارضَ بين الأحاديث الواردة فيها، كحديث العَدْوى، والرُّقْيةِ، والكيِّ، والطِّيَرةِ، والشكِّ في حقِّ نبيِّ الله إبراهيمَ في إحياء الموتى، وصفةِ الظلِّ لله تعالى، والمَلَل، والتردد، والهرولة، ويوم خلق التربة، والدهر، هل هو من أسماء الله؟ وهل أسماءُ الله تعالى محصورةٌ بعددٍ أم لا؟ وهل الرَّحِمُ جزءٌ من الرحمن؟ ومنها صفةُ الصورة، والحُلَّة، وإزالة التعارضِ بين صفةِ الفوقيةِ والقُربِ والمَعيَّة، وبيان معنى حديثِ سحرِ النبيِّ ﷺ، وهل هو قادحٌ في عصمته وبلاغِه، وما ورد في الحلِفِ بغيرِ الله، ومعنى حديث: «**مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي**»[(١)]، وبعض أحاديث أشراط الساعة، كالدَّجَّال، وتقارُبِ الزمان ونحوِه، وكذلك حديثُ الاحتجاج بالقدر على فعلِ المعاصي، وغيرُ ذلك.

فقد ذكرنا قرابةَ خمسين مسألةً على سبيل المثالِ لا الحصر لبيانِ استحالة وجودِ التعارضِ والاختلافِ في دين الإسلام.

[(١)] أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

واللهَ أسألُ أن يرزُقَنَا العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ، وأن يُفقِّهَنا في الدِّينِ، ويجعَلَ عمَلَنا خالِصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقَنَا حُسنَ الخواتيم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارَكَ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وجوب العمل بظواهر النصوص وما دل عليه السِّياق

ظواهِرُ الكتابِ والسُّنة كلُّها حقٌّ، ليس فيها تعميةٌ ولا تلبيسٌ، وليس لها ظاهرٌ وباطن، وإنما ظاهِرُها حقٌّ، وهو المرادُ منها.

فالمقصودُ بالخطابِ أو الكلام هو إفهامُ السامعِ بمرادِ المتكلِّمِ من كلامه، وبيانُ ما في نفسِه من المعاني بأقربِ الطرق وأسهلِها.

فإذا لم يحصُلِ البيانُ مِن المتكلِّم أو بيَّنَ ولم يفهَمِ السامعُ: فكأنَّه لم يُبَيِّنْ شيئًا، فإذا فهِمَ السامعُ مقصودَ المتكلِّمِ فقد حصَّلَ حقيقةَ كلامِه.

وأعظمُ مَن يُحتاج إلى معرفةِ مرادِه مِن كلامِه هو اللهُ جل جلاله ورسولُه ﷺ؛ لأن هذه المعرفةَ يُبنَى عليها الاعتقادُ والعملُ والتعليمُ[1].

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ﷺ: «لا بدَّ في تفسيرِ القرآنِ والحديث مِن أن يُعرَفَ ما يدُلُّ على مرادِ اللهِ ورسولِه من الألفاظ، وكيف يُفهَمُ كلامه»[2]، وقال ﷺ: «معرفةُ مرادِ الرسولِ، ومرادِ الصحابة هو أصلُ العلم وينبوعُ الهدى»[1].

---

[1] انظر: مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٥١) (٢/ ٣١٣).

[2] انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١١٦).

ولذلك كانت القاعدةُ عند أهل السُّنة والجماعة في نصوص القرآن والسُّنَّة أنهم يُجْرُونها على ظاهرها، معتقدينَ أنه هو الحقُّ الذي يوافِقُ مرادَ الله ومرادَ رسولِه ﷺ، لا سيَّما ما ليس للرأي فيه مجالٌ، كنصوص الصفات والميعاد، وغيرها من أمورِ الغيب[٢].

ولذا قال الشافعيُّ رحمه الله: آمنتُ بالله وبما جاء عن الله على مرادِ الله، وآمنتُ برسولِ الله وما جاء عن رسولِ اللهِ على مرادِ رسولِ الله ﷺ[٣].

وذلك لأن الشارعَ متَّصِفٌ بكمالِ العلم وصدقِ الحديثِ وقوةِ الفصاحةِ وحُسن البيان، وقصدِ الهدى والبيانِ والإرشاد، وقد تكلَّم باللسانِ المفهومِ لدى المُخاطَبين، فوجب قبولُ كلامِه وفَهمِه على ظاهرِه، وقد دلَّت نصوصُ الكتاب والسُّنة على ذلك، ومنها قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾} [النحل:٨٩].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٤١٣).

(٢) انظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين (ص٣٣)، د/ سليمان الدبيجي (ص٥٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾} [يوسف:١١١].

وقوله: {قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾} [المائدة:١٥].

وقوله: {وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾} [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وقوله تعالى: {تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾} [الشعراء:٢].

ومِن عظيم فضلِ الله تعالى على الناس أن يسَّرَ لهم ألفاظَ القرآن والسُّنَّة للحفظِ، ويسَّرَ لهم معانيَها للفهم، ويسَّرَ العملَ بالأوامر والنواهي الواردةِ فيها، قال سبحانه: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾} [القمر:١٧].

وقد توعَّد اللهُ من يكتُمُ ما أنزله من البيِّناتِ والهدى باللعنِ والطردِ من رحمته، فقال سبحانه: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾}

[البقرة:١٥٩-١٦٠].

وقال النبيُّ ﷺ «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»[١].

فقد ترك النبيُّ ﷺ أمتَه على المَحَجَّةِ البيضاءِ النقيَّةِ الواضحةِ البَيِّنةِ التي لا لبسَ فيها، ولا اشتباهَ، ظاهِرُها وباطِنُها سواءٌ.

وقال النبي ﷺ: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**». قالوا: نشهَدُ أنك قد بلَّغتَ وأديتَ ونصَحتَ. فقال: بإصبَعِه السَّبَّابةِ، يرفَعُها إلى السماءِ وينكُتُها إلى الناس: «**اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ**» ثلاثَ مراتٍ[٢].

فالصحابة قد شهِدُوا له بالبلاغِ والأداءِ والنُّصحِ، وهذا يعني أن ظاهِرَ كلامِه مطابقٌ لمرادِه؛ لأن هذا مقتضى البلاغِ وحسنِ الأداء وكمالِ النُّصْح.

وهذا هو منهجُ سلفِ الأمَّة في فهمِ نصوصِ الوحيين الشريفين.

---

[١] أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، وصححه الألباني.

[٢] أخرجه مسلم (١٢١٨).

قال الشافعي: فكلُّ كلامٍ كان عامًّا ظاهرًا في سنةِ رسول الله ﷺ فهو على ظهورِه وعمومِه، حتى يُعلَمَ حديثٌ ثابتٌ عن رسول الله ﷺ- بأبي هو وأمِّي- يدلُّ على أنه إنما أُرِيدَ بالجملةِ العامةِ في الظاهر بعضُ الجملةِ دون بعضٍ»[١].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رحمه الله: لم يكنْ أحدٌ من الصحابةِ يعتقِدُ في خبر الرسول وأمرِه ما يناقِضُ ظاهِرَ ما بيَّنَه لهم، ودلَّهم عليه، وأرشَدَهم إليه؛ ولهذا لم يكن في الصحابة مَن تأول شيئًا من نصوصِه على خلافِ ما دل عليه، لا فيما أخبرَ به اللهُ عن أسمائه وصفاته، ولا فيما أخبر به عما بعدَ الموت[٢].

وقال الذهبيُّ رحمه الله عن نصوص الوحيين: والمرَاد بظاهرها؛ أي: لَا بَاطِن لألفاظ الكتاب والسُّنة غيرَ مَا وُضِعَت لَهُ[٣].

---

[١] انظر: الرسالة للشافعي (١/ ٣٤١).

[٢] انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٥٢).

[٣] انظر: العلو للعلي الغفار، للذهبي (١/ ٢٥٤).

الخلاصة:

١- أن المرادَ بظاهرِ النصوصِ هو ما يتبادَرُ إلى الذهن من المعاني، وهو يختلفُ بحسَبِ السياق، وما يضافُ إليه الكلامُ، فالكلمةُ الواحدةُ يكونُ لها معنًى في سياقٍ، ومعنًى آخَرُ في سياقٍ آخَرَ[١].

قال ابنُ القيم ﷺ: السياقُ يُرشِدُ إلى تبيين المجمَلِ وتعيين المحتمَل، والقطعِ بعدمِ احتمال غير المرادِ، وتخصيصِ العام، وتقييدِ المطلق وتنوعِ الدَّلالة، وهذا من أعظم القرائنِ الدالةِ على مرادِ المتكلم، فمن أهمَلَه غلِطَ في نظره، وغالَطَ في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾} [الدخان:٤٩]، كيف تجدُ سياقَه يدلُّ على أنه الذليلُ الحقير[٢]؟!

وقال ﷺ: وبالجملة فالتأويل الذي يوافِقُ ما دلت عليه النصوصُ وجاءت به السُّنةُ ويطابِقُها هو التأويلُ الصحيح، والتأويلُ الذي يخالِفُ ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنةُ هو التأويلُ الفاسد، ولا فرقَ بين الأمر والخبر في

---

[١] انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (١/ ٣٦).

[٢] بدائع الفوائد (٤/ ٩-١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك، وكلُّ تأويلٍ وافَقَ ما جاء به الرسولُ فهو المقبول، وما خالفه فهو المردود[١].

٢- الإسلامُ هو القرآن والسُّنَّةُ بفهم سلفِ الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ، فخيرُ ما يُفسَّرُ به ظاهِرُ النصوصِ هو ما كان عليه الصحابةُ من الفهمِ والعَملِ؛ لأن اللهَ أخبرنا أن مَن انحرف عن منهج الرسول ﷺ وفهمِ الصحابةِ وسلَك سبيلًا غيرَ سبيلِهم أوْلاه ما تَوَلَّى، وأصلاه جهنَّمَ وساءت مصيرًا، قال الله تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥} [النساء:١١٥].

فكلُّ مَن انحرف عن فهمِ الصحابةِ وعملِ الصحابةِ انحرف عن الدين القويم.

ولذلك انحرفت الخوارجُ، وصاروا كلابَ النار، وشرَّ الخلق والخليقة، بشؤمِ مخالفتِهم لفهمِ الصحابة.

---

[١] الصواعق المرسلة (١/ ١٨٧).

وانحرفت القدَريَّةُ، وصاروا مجوسَ هذه الأمَّة؛ بشؤمِ مخالفتهم لما كان عليه الصحابةُ في فَهمِ نصوصِ الكتاب والسُّنةِ على ظاهِرها الذي أراده اللهُ ورسولُه.

وانحرفت وضلَّتِ الجهميةُ؛ بشؤمِ انحرافِها عن منهجِ الصحابةِ في فَهمِ نصوصِ الأسماء والصفات وغيرها.

وهكذا كلُّ فرقةٍ ضالَّةٍ، ما ضلَّتْ إلا لانحرافِها في فهمِ ظاهرِ النُّصوصِ على مرادِ الله ومرادِ رسوله ﷺ.

وقد أمرنا اللهُ ورسولُه أن نفهَمَ بفهمِ الصحابةِ؛ لأنهم أعلمُ الناسِ بلغةِ العرب وظواهِر النصوص، ومرادِ الله ومرادِ رسولِه، فهم الذين تَرَبَّوا على مائدةِ النبوة، وفيهم نزل الوحيُ، وهم الذين تلقَّوْه غضًّا طَرِيًّا من رسولِ الله ﷺ وكتبوه، وحفِظُوه، ونقلوه للأمَّة، وهم أولُ مَن اعتقد وعمِلَ وآمَنَ بالوحيين الشريفين؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،**

وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» [١]؛ أي: تمَسَّكوا بسُنَّتي على فهمِ أصحابي، وعلى رأسهم الخلفاءُ الراشدون المهديُّون أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين.

وقال ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي**- وأشار إلى أبي بكرٍ وعمرَ- **وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ عَمَّارٍ، وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ**»[٢]، وفي رواية: «**وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ**»[٣].

الظاهرُ عند السلفِ الصالحِ من الصحابة ومَن تبِعَهم بإحسان يختلِفُ عن الظاهر عند كثيرٍ من المتأخرين الذين سلكوا مسلَكَ التأويلِ والتشبيه والتعطيل والباطنية ونحوهِم من أهل البدع والضلال، من الشيعة الإمامية، وغُلاة الصوفية، والمعتزلة، والأشعرية، والجهمية، والخوارج، ومن نحا نحوَهم.

---

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥)، والحاكم في المستدرك (٣٢٩).

[٢] أخرجه أحمد (٢٣٢٧٦)، والترمذي (٣٧٩٩)، وصححه الألباني.

[٣] أخرجه الترمذي (٣٨٠٥)، وصححه الألباني.

قال شيخُ الإسلام: فلفظة «الظاهر» قد صارت مشتركةً؛ فإن الظاهِرَ في الفِطَر السليمةِ واللسان العربيِّ والدِّينِ القيِّمِ ولسانِ السلفِ غيرُ الظاهرِ في عُرفِ كثيرٍ من المتأخرين [١].

وجوب العمل بالمُحكَم والإيمان بالمتشابه

هذه قاعدةٌ من قواعد أهل السُّنة والجماعة في الإيمان والعملِ بنصوص الوحيين الشريفين.

والمُحكَم: هو ما كان معناه واضحًا جليًّا، لا خفاءَ فيه.

والمتشابه: ما لم يتَّضِحْ معناه لدقَّتِه وغموضِه لبعض الناس؛ بحيث يُحتاج في فهم المرادِ منه إلى تفكُّرٍ وتأمُّلٍ ورجوعٍ لأهل العلم الراسخين، فهو نسبيٌّ إضافيٌّ بحيث إنه لا يَشتبِهُ على جميعِ المسلمين أو الباحثين، وإنما يشتبِهُ على بعضٍ دون بعض [٢].

---

[١] مجموع الفتاوى (٣٣/ ١٧٥).

[٢] انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥١٧)، والقرطبي (٤/ ١٠)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٢١١-٢١٠)، ومجموع الفتاوى ابن تيمية (١٣/ ١٤٣)، والتدمرية شرح ابن عثيمين (ص١٠٥).

فليس في القرآن ولا في السُّنةِ شيءٌ غيرُ واضحٍ ولا مفهوم، وإنما القرآن مبينٌ، والسُّنةُ موضِّحةٌ ومُفسِّرةٌ للقرآن.

فائدة في آية سورة آل عمران

قال الله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾} [آل عمران:٧].

ومعنى الآية: من عظيمِ نعَمِ الله على النبيِّ محمدٍ ﷺ وأمتِه أنْ أنزَلَ القرآنَ، منه آياتٌ واضحاتُ الدلالة «محكمات» هي أصلُ الكتاب الذي يُرجَعُ إليه عند الاشتباه، ويُرَدُ إليه ما خالفه في الظاهر، ومنه آياتٌ أُخَر متشابهاتٌ تحتمِلُ بعضَ المعاني، لا يتعيَّنُ المرادُ منها إلا بضمِّها إلى المحكَمِ، فأصحاب القلوبِ المريضةِ والأهواءِ الضالةِ لسوء قصدهِم يتبعون المتشابهَ الذي خفِيَ عليهم فَهمُه لقصور عندهم ولم يخْفَ على الراسخين في العلم، وإنما يتبعون المتشابهَ ليُثيروا الشبهاتِ عندَ الناس؛ اتباعًا لأهوائهم وإضلالًا لغيرهم، ولا يعلَمُ حقيقةَ

معاني هذه الآياتِ إلا اللهُ، ككيفيةِ ذاتِه وصفاتِه، والجنةِ والنار وما فيهما، ووقتِ مجيءِ الساعة ونحوِ ذلك مما لا يُدرِكُ حقيقتَه إلا اللهُ سبحانه وتعالي.

والعلماءُ في الوقفِ على قوله سبحانه: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ} على وجهين:

أ- وجه الوصل: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ}، فيكون الراسخون في العلم ممن يعلَمُ تأويلَه، وهو ما ذهب إليه كثيرٌ من المفسِّرين والأصوليِّين من السلف، واختاره شيخُ الإسلام ابنُ تيمية، وعليه يكون معنى التأويل: التفسير.

ب- وجه الوقف على اسم الجلالة: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ}، وهو مذهب جمهورِ السلف والخلف، فيكون معنى التأويل: حقيقةَ الشيء التي تؤولُ إليها، وهو ما استأثر اللهُ بعلمِه، كوقتِ الساعة، ومجيء أشراطِها، وكيفيةِ ذاته وصفاتِه، وحقيقةِ الجنة والنار ونحوِ ذلك.

فيكون المرادُ بالمتشابه في الآية: المتشابهَ الكليَّ الحقيقيَّ، وهو ما نفهمُ معناه ولا نُدرِكُ حقيقتَه وكيفيتَه[١].

فالمتمكنون في العلمِ يقولون: آمنا بهذا القرآنِ وهذه السُّنة، كلُّه قد جاءنا من عند ربِّنا على لسان نبيِّنا محمدٍ، ويردُّون متشابِهَه إلى محكَمِه، ولا يوفَّقُ للفهمِ الصحيحِ والتدبُّرِ إلا ذوو العقول الرشيدة، والقلوبِ السليمة.

فالواجبُ على كلِّ مسلمٍ تُجاهَ نصوصِ الكتاب والسُّنة الصحيحةِ أن يؤمِنَ بها كلِّها، مُحكَمِها ومُتشابِهِها، ويعمَلَ بما استبان له منها، ويَكِلُ ما اشتبه عليه إلى عالمِه.

قال الحسنُ البصريُّ في قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ... ﴿١٢١﴾} [البقرة:١٢١]؛ أي: يعملون بمُحكَمِه، ويؤمنون بمُتشابِهه، ويَكِلُون ما أشكَلَ عليهم إلى عالمِه[٢].

---

[١] انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢١-٥٢٠)، والإتقان للسيوطي (٦٤٢)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٤٥٩)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ١٤٣-١٤٤).

[٢] تفسير الطبري (١/ ٥٦٩).

ومثلُه قال قتادةُ وابنُ تيمية، وهو قولُ ابنِ عباس، وعائشةَ، والضحاكِ، والشافعيِّ، وأحمدَ، ومالكٍ، وأبي حنيفةَ، وأبي يوسفَ، والبخاريِّ، وإسحاقَ بنِ راهَوَيهِ، وغيرِهم، وهذا بخلافِ أهلِ البدع الزائغين؛ فإنهم يتمسَّكون بالمتشابه في ردِّ المُحكَم.

فأهلُ السُّنةِ والجماعة يرُدُّون المُتشابِهَ إلى المُحكَم، ويأخذون من المُحكَم ما يُفسِّرُ لهم المتشابهَ ويُبيِّنه لهم، فتتفِقُ دلالتُه مع دلالة المُحكَم، وتوافِقُ النصوصُ بعضُها بعضًا، ويُصدِّق بعضُها بعضًا، فإنها كلَّها من عند الله، وما كان من عند اللهِ فلا اختلافَ فيه ولا تناقُضَ، وإنما الاختلافُ والتناقُضُ فيما كان من عند غير الله[١].

ولذلك قال الحافظ ابنُ كثيرٍ: فمَن ردَّ ما اشتبه إلى الواضحِ منه وحكَّم مُحكَمَه على متشابِهه عنده فقد اهتدى، ومَن عكس انعكس[٢].

---

[١] تفسير الطبري (٣/ ١٨٦)، والقرطبي (٤/ ١٠)، فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٣٠٦).

[٢] تفسير ابن كثير (٢/ ٤).

فالوضوحُ والإشكالُ في النصوص من الأمور النسبية، يختلِفُ فيها الناسُ بقدر ما عندهم من العلمِ والفهمِ، فما يكون مُشكِلًا عندَ شخصٍ لا يكون كذلك عند غيره؛ بل يكون واضحًا جليًّا.

وأما أن يكونَ في النصوص الشرعية ما لا يمكن لأحدٍ معرفتُه، فهذا مستحيلٌ؛ بل قولٌ باطلٌ؛ بل حتى ما لا نُدرك حقيقتَه وكيفيتَه كذاتِ الله وصفاتِه فإننا نعرف معناه، ونفهَمُ المرادَ بلفظه، كحقيقةِ ما في القبر من نعيم وعذاب، وما في الجنَّة والنار، فنعرف معناه وإن كنا لا نعلَمُ حقيقتَه وكيفيتَه، فالجنةُ مخلوقةٌ من مخلوقات الله، نؤمِنُ بها، ونفهَمُ مراد الله مما فيها من النعيم؛ ولكن لا نعلَمُ كيفيَّتَه وحقيقتَه.

يقول اللهُ تعالى: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}[1]».

فالمتشابه نوعان:

---

[1] أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

الأول: كُلِّيٌّ حقيقيٌّ، لا يعلمُه إلا الله، وهو ما استأثر اللهُ بعلمه من حقائق الأشياء وكيفياتها، كحقيقة ذاته وصفاته.

الثاني: نِسبيٌّ إضافيٌّ، يشتبِهُ على بعضٍ دونَ بعضٍ، حسَبَ العلمِ والفَهمِ، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ.

هل صفاتُ الله تعالى من قبيل المتشابه؟

لا يصحُّ إطلاقُ القول بأن صفاتِ الله تعالى من المتشابه؛ بل لا بدَّ من التفصيل في ذلك، فإن صفاتِ اللهِ لها اعتباراتٌ:

الأول: من جهةِ معناها؛ فلا يوجد شيءٌ في نصوص الشرع لا يعلَمُ معناه أحدٌ من الناس؛ لأنها حينئذٍ تكونُ بمنزلة الكلامِ الأعجميِّ الذي لا يُفهَم، وهذا ما يُنزَّهُ عنه كلامُ اللهِ تعالى وكلامُ رسوله ﷺ.

وبناءً عليه فإن نصوصَ الصفاتِ بهذا الاعتبار ليست من المتشابِهِ الكُلِّيِّ الحقيقيِّ الذي لا يعلَمُه إلا اللهُ.

وقد يكونُ منها ما يشتبِهُ معناه على بعضِ الناسِ دون بعضٍ، فهو من المتشابهِ النسبيِّ الذي سَرعانَ ما يزول بردِّه إلى المُحكَم؛ {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴿٨٣﴾} [النساء:٨٣].

الثاني: من جهة كيفيَّتِها وحقيقةِ ما هي عليه؛ فهذا مما استأثر اللهُ بعلمِه، فهي من المتشابِهِ الكُلِّيِّ الذي لا يعلمُه إلا اللهُ، كحقيقة ما يجري في البَرْزَخ من النعيمِ والعذابِ، والجنة والنار.

أسبابُ استشكالِ النصوصِ أو الاشتباه فيها:

يرجع السببُ في ذلك إلى أمرين أساسيَّين:

الأول: هو الغلَطُ في الفَهم بسبب غرابةِ اللفظ، أو اشتباه المعنى بغيرِه، أو وجودِ شُبهةٍ في النفس تمنَعُ من معرفةِ الحقِّ، أو عدمِ التدبرِ التامِّ. وهذا يحتاج إلى زيادة البحث، وإدامةِ النظر والتدبُّرِ، والرجوعِ لأهل العلم.

الثاني: ضعفُ النصِّ المُشتبَهِ فيه، ومخالفتُه لصحيح المنقولِ وصريحِ المعقول. وهذا يحتاجُ لتحقيقِه وبيانِ ضعفِه وعدمِ صحة نسبتِه للنبيِّ ﷺ، فيزولُ الإشكالُ.

استحالة التعارض بين النصوص الشرعية الثابتة

ذهب جماهيرُ أهلِ العلم من المحدِّثين والمفسِّرين والأصوليِّين إلى استحالةِ وقوعِ التعارضِ الحقيقيِّ بين النصوصِ الصحيحةِ، وإنما التعارُضُ يكونُ من وجهةِ نظرِ المجتهد، أو بسبب الجهلِ بالأمر أو شيءٍ مُدَّعًى من قِبَل المُغْرِضين أعداءِ الإسلام، فإنه من المعروفِ أن الرجلَ العاقلَ الحكيمَ لا يصدُرُ عنه أمران متناقضان، فما بالُنا بالشارعِ الحكيمِ[١]!

قال الإمامُ الشافعيُّ ﵀: لا يصحُّ عن النبيِّ ﷺ أبدًا حديثان صحيحان متضادَّان ينفِي أحدُهما الآخَرُ من غير جهةِ الخصوصِ والعمومِ والإجمال والتفسير إلا على وجه النسخ وإن لم يجده[٢].

وقال إمامُ الأئمَّة ابن خُزَيمة: لا أعرِفُ أنه رُوِي عن رسولِ الله ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادَّان، فمَن كان عنده فليأتِ حتى أؤلِّفَ بينهما [٣].

---

[١] انظر: التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية للدبيجي (ص٤١).

[٢] انظر: اختلاف الحديث للشافعي (ص٢٧)، وإرشاد الفحول، للشوكاني (ص٤٠٦).

[٣] انظر: الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي (٦٠٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: لا يجوزُ أن يوجَدَ في الشرعِ خبران متعارضان من جميعِ الوجوه، وليس مع أحدهما ترجيحٌ يُقدَّم به[١].

وقال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كلِّ وجهٍ ليس أحدُهما ناسخًا للآخَرِ فهذا لا يوجَدُ أصلًا، ومعاذَ الله أن يوجَدَ في كلامِ رسولِ الله الصادقِ المصدوقِ الذي لا يخرجُ من شفتيه إلا الحقُّ! والآفةُ من التقصيرِ في معرفةِ المنقول، والتمييزِ بين صحيحِه ومعلولِه، أو القصورِ في فهم مرادِه، وحملِ كلامِه على غيرِ ما عناه به، أو منهما معًا، ومن ههنا وقع مِن الاختلاف والفسادِ ما وقَع[٢].

واستدل جماهيرُ السلفِ على ذلك بالآتي:

١-قال تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤} [النجم:٣-٤]، وهو سبحانه مُنزَّهٌ عن التناقضِ والاختلاف.

---

[١] انظر: المسودة في أصول الفقه (١/ ٣٠٦).

[٢] انظر: زاد المعاد (٤/ ١٤٩)، الموافقات للشاطبي (٤/ ٩٣) (٤/ ٢١٧).

٢-قال الله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [النساء:٨٢]، والقرآن والسُّنَّةُ وحيُ الله، فيستحيلُ أن يكونَ فيهما اختلافٌ أو تعارضٌ.

٣-قال تعالى: {فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾} [النساء:٥٩]، فكيف يأمُرُ الناسَ عند الاختلاف أن يرجعوا إلى مصدرٍ فيه تناقضٌ أو اختلافٌ، وهذا دليلٌ واضحٌ على أن القرآنَ والسُّنَّةَ ليس فيهما أدنى اختلافٍ أو تضادٍّ.

٤- قال الله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ} [البقرة:٢٨٦]؛ ولو كانت نصوصُ الشريعةِ متضاربةً متناقضةً لكان في ذلك مشقةٌ على النفسِ، وتكليفٌ لها فوق الطاقة، واللهُ نَزَّهَ نفسَه عن ذلك، ورفعَ الحرجَ والمشقةَ عن عبيده.

٥- لو كان هناك تعارضٌ وتناقضٌ بين نصوصِ الشريعة لكان ذلك قدحًا في الشارعِ، ووصفًا له بالجهل والنقص والقصور، وهو سبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك، فهو السُّبُّوحُ القُدُّوسُ، العليمُ الخبيرُ الحكيم.

٦-علمُ الناسخِ والمنسوخِ من أصولِ الشريعة، ومَن جهِلَه جهِلَ حِكمةَ الله في تشريعه لأحكامٍ تمَّ نسخُها لأحكامٍ أخرى، وهو مِن رحمة الله بخلقِه وتخفيفِه عنهم.

٧-ومَن تعلَّم هذا العلمَ علِمَ أنه يستحيلُ أن يكونَ هناك أدنى تعارضٍ بين نصوصِ الشريعةِ الغَرَّاء.

أسباب وقوع التعارض الظاهري بين النصوص

هناك أسبابٌ ذكرها العلماءُ للتعارُضِ الظاهريِّ، وهي:

١-أن يكونَ أحدُ الحديثين ضعيفًا وليس من كلامِ النبيِّ ﷺ، بسببِ غلطٍ من الراوي ونحوِ ذلك.

٢-أن يُروَى الحديثُ الصحيحُ، فيرويه بعضُهم كاملًا، وبعضُهم مختصرًا، وبعضُهم بمعناه أو ببعض معناه، فيُظَنُّ أن هناك تعارضًا بين الروايات.

٣-أن يكونَ أحدُ الحديثين ناسخًا، والآخَرُ منسوخًا، فيجهلُ البعضُ ذلك، فيظنون التعارضَ.

٤-أن يكونَ التعارضُ في فهم السامعِ ونظرِ المجتهد، لا في كلامه ﷺ، فقد يقول النبيُّ ﷺ القولَ عامًّا يريد به العامَّ، أو عامًّا يريدُ به الخاصَّ، ومطلقًا قد قيَّدَه في موضِعٍ آخَرَ.

٥-الجهلُ بسَعَةِ لسانِ العَرَبِ، فكثيرٌ من الكلماتِ والأسماءِ لها أكثرُ من معنًى، فمَن جهِلَ ذلك حصل عنده الاختلافُ لجهله[١].

مسالك العلماء عند التعارض

ذهب جماهيرُ أهلِ العلم إلى وجوبِ دفعِ التعارضِ الظاهريِّ بين النصوص على النحو الآتي:

أولًا: بالجمع بين النصوص وإعمالِها جميعًا إذا أمكن ذلك، فالقاعدةُ: «إذا أمكَنَ الجمعُ وجَبَ الجمعُ»، فيُستعمَلُ كلُّ حديثٍ أو كلُّ دليلٍ في موضعِه[٢].

ثانيًا: النسخُ؛ فإذا تعذر الجمعُ وكان الحديثان يقبلان النسخَ فيُنظَر إلى تاريخ المتقدِّم والمتأخِّر، فيكون المتأخِّرُ ناسخًا.

---

[١] انظر: الرسالة للشافعي (ص٥٢، ٢١٣)، زاد المعاد (٤/ ١٤٩).

[٢] انظر: اختلاف الحديث للشافعي (٣٩-٤٠)، والرسالة (ص٣٤٢)، ومعالم السنن (٣/ ٦٨).

ثالثًا: الترجيح: إذا تعذَّر الجمعُ ولم يقم دليلٌ على النسخ يُرجَع حينئذٍ إلى الترجيح، فيُعمَل بالراجح، ويُترَكُ المرجوح، وهذا بإجماع العلماء[١].

ووجوهُ الترجيح كثيرةٌ، ذكر الحازميُّ منها خمسين وجهًا[٢].

وزادها بعضهم، حتى وصَلَت مئةً وعشَرةَ أوجهٍ[٣].

رابعًا: التوقُّف؛ إذا لم نستطِعْ شيئًا مما ذُكِر، فنتوقَّفُ عن أحدِ الحديثين لحين النظر والبحث والتأمُّل[٤] [٥].

---

[١] انظر: إرشاد الفحول، للشوكاني (ص٤٠٧).

[٢] انظر: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ، للحازمي (ص١٠) وما بعدها.

[٣] انظر: إرشاد الفحول، الشوكاني (ص٤٠٧) وما بعدها.

[٤] انظر: روضة الناظر، لابن قدامة (٢/ ٤٣٢).

[٥] انظر: الموافقات، للشاطبي (٤/ ١١١)، ونزهة النظر، لابن حجر (ص٣٥).

التعريف بأشهر المؤلفات في مشكل الحديث

اعتنى أهلُ العلم قديمًا وحديثًا ببيانِ ما ظاهِرُه التعارضُ والإشكالُ حتى لا يلتبِسَ الأمرُ على كثيرٍ من الناس، وممن كتب في ذلك قديمًا:

١-الإمام الشافعي ﵀ في كتابه: «اختلاف الحديث».

وهو أول كتاب أُلِّفَ في هذا الباب، كما نصَّ على ذلك السيوطيُّ في «ألفيته» فقال:

أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي المُخْتَلِفِ * الشَّافِعِي فَكُنْ بَذَا النَّوْعِ حَفِي

كتب فيه مجلدًا ضمن كتاب «الأم»، ولم يقصِدِ الشافعيُّ استيفاءَ ما ورد من ذلك، وإنما أراد أن يبيِّنَ كيفيَّةَ حلِّ الإشكال بالجمع بين الحديثين إن أمكن ذلك للعمل بهما جميعًا، وإلا كان ببيان الناسخِ منهما والمنسوخِ، كنسْخِ القبلةِ مِن بيتِ المقدسِ إلى المسجد الحرام ونحوِ ذلك، وقد خصَّصَه الشافعيُّ ﵀ لمسائل الفقه [١].

---

[١] انظر: اختلاف الحديث للشافعي (ص٤٠)، وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢-الإمام ابن قتيبة الدِّينَوَري ﷺ في كتابه: «تأويل مختلف الحديث»، وقصد به الردَّ على مَن ادعى التناقضَ والاختلافَ في الحديث، وفيه ما يخصُّ العقيدةَ والفقهَ بدون ترتيبٍ، وقد أخذ عليه العلماءُ أنه ربما يأتي بالحديث الضعيف، ويحاوِلُ أن يوفِّقَ بينه وبين الصحيح أحيانًا[١] [٢].

٣-الإمام الطحاوي ﷺ ألَّف كتاب «مشكِل الآثار»، وبيَّن فيه ما ظاهره الإشكالُ مع استخراج الأحكام، وقد جمَعَ فيه جمعًا مباركًا في كلِّ الأبوابِ، مع ذكرِ الأسانيد والحكمِ على الأحاديث والأسانيد بالصحة أو الضعف ونحوِ ذلك، وإن كان الكتابُ غيرَ مرتَّبٍ بالشكل الجيد، فقد يجِدُ الباحثُ أبوابَ الموضوع الواحد مشتَّتةً ومتفرقةً في أول الكتاب وفي آخره.

وقد رتَّبَ الكتابَ الباحثُ خالدُ بنُ محمود الرَّبَّاط، وسماه: «تحفةُ الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار» في عشر مجلدات.

---

[١] انظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (ص٧٣)، والتقريب للنووي (٢/ ١٨١)، شرح الباعث الحثيث (ص١٦٩).

[٢] انظر: تأويل مختلف الحديث (ص١١٧) وما بعدها.

وقد اختصر كتابَ الطحاويِّ القاضي أبو الوليد بن رشدٍ المتوفَّى سنة (٥٢٠هـ)، وهذَّبه ورتَّبَه في كتاب «المعتصر من المختصر».

وقد اختصر مختصرَ ابن رشد القاضي أبو المحاسن يوسفُ بنُ موسى الحنفيُّ في كتابه «المعتصر من المختصر من مشكل الآثار»، فرحم اللهُ الجميعَ.

٤-أبو الحسن الطبري في كتابه «تأويل الأحاديث المشكلة»، والمتوفَّى سنة (٣٨٠هـ)، وهو من أصحاب أبي الحسن الأشعريِّ.

وقد بحث في مجالِ العقيدةِ ونصوصِ الأسماء والصفات؛ ولكنه كان- للأسف- على مذهبِ الأشاعرةِ المعتزلة في تأويلِ نصوصِ الصفات وصرفِها عن ظاهرِها في أكثر أحوالِه، وقد غمَزَ ولمَزَ أصحابَ الحديث في أول الكتاب.

٥-ابن فُورك الأشعريُّ، وقد تُوُفِّي سنة (٤٠٦هـ) في كتابه: «مشكل الحديث وبيانه»، وهو كسابقه في موضوعِه وتأويلاتِه، مع خلطِه الأحاديثَ الصحيحةَ بالضعيفة بالموضوعة محتجًّا بها جميعًا في نسقٍ واحدٍ، وقد أجهَدَ نفسَه في التأويل على مذهب المعتزلة والأشاعرة المؤَوِّلة، كما أجهد نفسَه في الردِّ على

الإمام محمد بن خُزَيمة في كتابه «التوحيد»، وعلى صاحبه أبي بكرٍ أحمدَ بنِ إسحاقَ الصِّبْغي[١].

فالغثُّ فيه أكثرُ من السَّمين.

٦-ابن الجوزي في كتابه: «كشف المشكِل من حديث الصحيحين».

واعتمد فيه على كتاب «الجمع بين الصحيحين» للحُمَيدي، والذي رتَّبه على المسانيد، وليس على الأبواب، فجاء كتابُ ابن الجوزي على النَّسَقِ نفسِه؛ ولكن يُعابُ عليه أنه كثيرًا ما يؤوِّلُ الصفاتِ الخبريةَ، ويضطربُ فيها.

وقد يورد أحاديثَ فقط لبيانِ معنى الكلماتِ الغريبة فيها.

وقد تجَرَّأَ في ردِّ الرواياتِ التي تخالِفُ مذهبَه ومعتقدَه.

---

[١] أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين، سليمان بن محمد الدبيجي، سلسلة منشورات مكتبة المنهاج، رقم ٢٥، ط٢سنة ١٤٣٢هـ.

[١] نفيُ التعارضِ بين حديث: «لَا عَدْوَى» وبين غيرِه مما يُفيد تأثيرَ العدوى:

أولًا: وردت أحاديثُ في نفيِ العدوى عن أبي هريرة وأنسٍ وابنِ عمرَ وغيرِهم رضي الله عنهم، نذكُرُها على النحو الآتي:

* عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَا عَدْوَى، وَلَا صَفَرَ، وَلَا هَامَةَ**»، فقال أعرابيٌّ: يا رسولَ الله، فما بالُ إبلي تكونُ في الرمل كأنها الظِّباءُ، فيأتي البعيرُ الأجربُ، فيدخُلُ فيها فيُجْرِبُها؟ فقال النبي ﷺ: «**فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟**»[١].

* عن السائبِ بنِ يزيدَ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ**»[٢].

* عن ابن عمر ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَالشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي المَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ**»[١]. وفي لفظٍ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**»[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٥٣٨٧)، ومسلم بشرح النووي (١٤/ ٤٦٧).

[٢] أخرجه مسلم (٢٢٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**»، قالوا: وما الفأل ؟ قال: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»[٣]. وفي لفظٍ لمسلمٍ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الفَأْلَ الحَسَنَ**»[٤].

* حديثُ جابرِ بنِ عبد الله ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا عَدْوَى، وَلَا غُولَ**»[٥].

وفي لفظٍ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا هَامَةَ، وَلَا نَوْءَ، وَلَا صَفَرَ**»[٦].

من معاني مفردات هذا الحديث:

- **العَدْوَى**: اسمٌ من الإعداء، يقال: أعداه الداءُ، فأصَابَه[٧]، والمعنى: «**لَا عَدْوَى**»؛ أي: أن العدوى لا تنتشِرُ بذاتِها، وإنما بأمرِ اللهِ لها.

- «**وَلَا صَفَرَ**»: يقصِدُ بها عدةَ معانٍ ذكرها العلماءُ:

---

[١] أخرجه البخاري (٥٤٢١)، ومسلم (٢٢٢٥).

[٢] أخرجه البخاري تعليقًا (٥٣٨٠).

[٣] أخرجه البخاري (٥٤٤٠) ومسلم (٢٢٢٤).

[٤] أخرجه مسلم (٢٢٢٣).

[٥] أخرجه مسلم (٢٢٢٢).

[٦] أخرجه مسلم (٢٢٢٠).

[٧] انظر: عمدة القاري (١١/ ٢١٨)، وتحفة الأحوذي (٤/ ٧٠).

الأول: كانت العربُ تزعُمُ أن في البطن حيَّةً يقال لها: الصَّفَر، تصيبُ الإنسانَ، إذا جاع تؤذيه، وأنها تُعدي، فأبطل الإسلامُ ذلك.

الثاني: كانت العربُ في الجاهلية تستحِلُّ شهرَ اللهِ المحرَّمِ الذي هو من الأشهر الحُرُم التي يحرُمُ فيها القتالُ، وتحرِّمُ مكانَه شهرَ صفَرَ، وهذا هو النَّسيءُ الذي حرَّمه الله، فقال: {إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ} [التوبة:٣٧]، فأبطل الإسلامُ ذلك[١].

الثالث: أنه داءٌ يأخُذُ البطنَ، وهذا جزم به البخاريُّ في «صحيحه»، فقال: «باب: لا صفَرَ؛ وهو داءٌ يأخُذُ البطنَ».

ورجَّحه النوويُّ في «شرحه لصحيح مسلم»[٢].

الرابع: أن أهلَ الجاهلية كان يتشاءمون بشهر صفَرَ، ويقولون: إنه شهرٌ مشؤومٌ، فأبطل الإسلامُ ذلك، وهذا ما رجَّحه الحافظ ابنُ رجبٍ في «لطائف المعارف»[١].

---

[١] انظر: النهاية، لابن الأثير (٣/ ٣٥).

[٢] صحيح البخاري (٥/ ٢١٦)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٤/ ٤٦٥).

- «**وَلَا هَامَةَ**»: أصلُ الهامةِ هي الرأسُ، وهي اسمُ طائرٍ، ولها عدةُ معانٍ:

الأول: أن العربَ كانوا يتشاءمون بالبومة إذا رأوها، فأبطل الإسلامُ ذلك.

الثاني: كانت العربُ تزعُمُ في الجاهلية أن رُوحَ القتيلِ الذي لم يؤخَذْ بثأره تصيرُ هامةً، فتقول: أسقُوني، فإذا أُخِذ بثأره طارت وذهبت، فأبطل الإسلامُ ذلك[٢]، فلا حياةَ لهامةِ الميِّت، ولا شؤمَ بالبومة ونحوها[٣].

- **النَّوءُ**: هو طلوعُ النجم وغروب ما يقابِلُه، أحدهما بالمشرق، والآخر بالمغرب، فكانت العربُ تعتقِدُ أنه لا بدَّ من مطرٍ أو ريحٍ ينسُبونه لهذا النجمِ الطالعِ أو الغارب، فأبطل الإسلامُ ذلك، وبيَّن أن نزولَ المطر وهبوبَ الريح إنما بفعل الله وتقديره، وليس بفعلِ النجمِ والكوكب[٤].

- **الطِّيَرَةُ**: هي التشاؤم، وسُمِّيت بذلك لأن العربَ كانوا أكثرَ ما يتشاءمون من الطيور والغرابِ والبومةِ، فإذا طارت جهةَ اليمين استبشروا، وإذا طارت

=

[١] انظر: لطائف المعارف، لابن رجب (ص٨٣).

[٢] انظر: النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٨٣).

[٣] انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٤١)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٤/ ٤٦٦).

[٤] انظر: عون المعبود (١٠/ ٢٩٢)، والفتح (٢٠/ ٢٥٩)، والنهاية (٥/ ١٢٢).

جهةَ اليسار تشاءموا، ونحو ذلك؛ بل كانوا يزجرون الطيرَ، فيتفاءلون إن طارت يمينًا، ويتشاءمون إن طارت شمالًا.

وهي عمومًا التشاؤمُ بمرئيٍّ، أو مسموعٍ، أو معلومٍ، كالتشاؤم من بعض الأشخاص، أو الأيام، أو الشهور، أو الطيور، وكلُّ هذا منافٍ للتوحيد؛ لأن المُتطيِّرَ قطَعَ توكُّلَه على الله، واعتمد واعتقد في غير الله، وتعلَّق بأمرٍ لا حقيقةَ له ولا دليلَ عليه، وإنما هو الوَهْمُ وسوءُ الظنِّ بالله، وعدمُ الاعتماد عليه[١].

- **الجَرَب**: بَثْرٌ يعلو أبدانَ الناسِ والإبل[٢].

- «**لَا غُولَ**»: الغولُ والغِيلانُ هو جنسُ الجنِّ والشياطين، كانت العربُ تزعُمُ أن الغولَ في الجبالِ والأماكنِ الخالية تتراءى للناس، فتظهَرُ لهم في صُوَرٍ شتَّى، فتُضِلُّهُم عن الطريقِ وتُهلِكُهم، فنفى النبيُّ ﷺ زعمَ العربِ، وتخويفَ الناس من الجنِّ.

---

[١] انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٢١١)، شرح كتاب التوحيد لابن العثيمين (١/ ٤١٧).

[٢] انظر: لسان العرب (١/ ٢٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويشهد لذلك حديثٌ آخَرُ: «**لَا غُولَ؛ وَلَكِنِ السَّعَالَى**»، وهم سَحَرةُ الجنِّ الذين لهم تلبيسٌ وتخييلٌ.

وقد ورد حديث: «**إِذَا تَغَوَّلَتِ الغِيلَانُ فَبَادِرُوا بِالأَذَانِ**»[١]؛ ولكنَّه ضعيف.

ثانيًا: أحاديثُ تفيدُ إثباتَ العدوى

قد وردت عدةُ أحاديث تفيدُ أنَّ العدوى لها تأثيرٌ؛ ولذا حذَّر منها النبيُّ ﷺ، وهي كما يأتي:

* حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»[٢]. والمعنى: الذي في إبِلِه مرضٌ لا يُورِدُها على الإبِلِ الصِّحاحِ[٣].

وفي هذا الحديث نهيُ النبيِّ ﷺ عن أن يخلِطَ صاحبُ الإبلِ المريضةِ إبِلَهُ بالإبِلِ الصِّحاحِ؛ حتى لا تُصابَ بالعدوى التي في الإبلِ المريضةِ.

وهذا من بابِ الأخذِ بالأسباب في سلامةِ وصلاحِ الإبل الصحيحة، وإن

---

[١] أخرجه النسائي (١٠٧٢٥)، وضعفه الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة برقم (١١٤٠) (٣/ ٢٧٧).

[٢] أخرجه البخاري (٥٤٣٧)، ومسلم (٢٢٢١).

[٣] انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٤/ ٤٦٨)، وفتح الباري (١٠/ ٢٤٢).

أصابها شيءٌ فبقدَرِ الله وقضائه؛ لأن العدوى لا تنتشِرُ بذاتها، وإنما بقضاء الله وقدره لها، قال تعالى: {إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢} [يس:٨٢].

* حديث أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ، فِرَارَكَ مِنَ الأسَدِ**»[١]. والجُذامُ مرضٌ معروفٌ، كان يتعوَّذُ منه النبيُّ ﷺ في قوله: «**أعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الأسْقَامِ**»[٢].

وهو داءٌ ينتشِرُ في البدن كلِّه، فيُفسِدُ الأعضاءَ، وربما أدَّى إلى تآكُلِ أطرافِ الأصابع وتقطعِها، نسألُ اللهَ السلامةَ والمعافاةَ[٣]!

في هذا الحديث أمرٌ من النبيِّ ﷺ بعدمِ مخالطة المجذوم؛ حتى لا يُصابَ غيرُه بهذا المرض مِن بابِ الأخذ بأسباب السلامة والمعافاة، ولا يتنافى هذا مع حديثِ: «**لَا عَدْوَى**»؛ لأن العدوى لا تنتشر بذاتِها، وإنما بقضاء الله وتقديرِه لها.

---

[١] أخرجه البخاري معلقًا (٥٣٨٠).

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩١٢٩).

[٣] انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢٥١)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* ولذلك ورد في حديث عمرو بن الشَّريد، عن أميَّة، قال: كان في وفدِ ثقيفٍ رجلٌ مجذومٌ، فأرسل إليه النبيُّ ﷺ: «**إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ**»[١].

* حديث أسامة بن زيدٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ**»[٢].

* وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال عن الطاعون: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**»[٣].

قد يفهم بعضُ قُصَّار النظر أن هناك تناقضًا بين الأحاديث النافية للعدوى والمثبتةِ لها، وهذا فهمٌ خاطئٌ؛ لأنه يستحيلُ أن يكونَ في أدلة الوحيِ الشريفِ تعارضٌ أو تناقضٌ، ففي حالة وجودِ تعارضٍ ظاهريٍّ بين الأدلة، فإما أن يكون

---

[١] أخرجه مسلم (٢٢٣١).

[٢] أخرجه البخاري (٣٢٨٦)، ومسلم (٢٢١٨).

[٣] أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٥٨٣٧).

هناك ناسخٌ ومنسوخٌ، فتُحسَم القضيةُ، وإما أنه يمكنُ الجمعُ بين الأدلة الصحيحةِ.

والأصلُ أنه إذا أمكن الجمعُ بين الأدلة التي ظاهرُها التعارضُ وجب الجمعُ، وقد جمع أئمةُ الإسلامِ بين هذه الأدلة بأوجهٍ عدةٍ، وأفضلُها وأرجحُها أن قولَه ﷺ: «**لَا عَدْوَى**» ليس نفيًا لوجود العدوى، وإنما المعنى أن العدوى لا تنتشِرُ بذاتها، ولا تؤثرُ بذاتها، وإنما تنتشِرُ وتؤثِّرُ بأمر الله لها وقضائِه وقدرِه لها، كالنارِ، فإنها لا تُحرِقُ بذاتِها[1]، وإنما تُحرِقُ بأمرِ الله لها، فهذا إبراهيم أُلقِي في النارِ ولم تُحرِقْه؛ لأن اللهَ أمرَها ألَّا تُحرِقَه؛ بل كانت عليه بردًا وسلامًا، فكانت

---

[1] الله خالقُ السبب والمسبب، وهو الذي جعل هذا سببًا لهذا، والأسبابُ والمسببات طوعُ مشيئته وقدرته، منقادةٌ لحكمه، إن شاء أن يبطل سببيةَ الشيء أبطلها، كما أبطل إحراقَ النار على خليله إبراهيم، وإغراقَ الماء على كليمه وقومه، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانعَ تمنع تأثيرَها مع بقاء قواها، وإن شاء خلَّى بينها وبين اقتضائه لآثارها، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا، فأي قدحٍ يوجبُ ذلك في التوحيد وأي شرك يترتب على ذلك بوجهٍ من الوجوه؛ ولكن ضعفاء العقول إذا سمعوا أن النارَ لا تُحرِق والماءَ لا يُغرِق والخبزَ لا يُشبِع والسيفَ لا يقطع ولا تأثيرَ لشيء من ذلك البتةَ ولا هو سببٌ لهذا الأثر، وليس فيه قوة، وإنما الخالقُ المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاة كذا لكذا، قالت: هذا هو التوحيدُ وإفراد الرب بالخلق والتأثير، ولم يدرِ هذا القائلُ أن هذا إساءةُ ظنٍّ بالتوحيد وتسليط لأعداء الرسل على ما جاؤوا به كما تراه عيانًا في كتبهم ينفرون به الناس عن الإيمان. شفاء العليل (ص١٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما أمرها الله، ونرى الأطباءَ والمُمَرِّضين ليلَ نهارٍ في المستشفيات بين المرضى، ولا تصيبُهم العدوى، فالعدوى جندٌ من جنود الله، مسخَّرةٌ مأمورةٌ بأمره، ومنقادةٌ لأمره؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا**»[1].

والأحاديثُ الأخرى كلُّها من بابِ الأخذ بالأسباب؛ لتجنب الإصابة بالإمراض المختلفة، وإن أصابَ الإنسانَ شيءٌ فبقدَرِ الله وحدَه، قال سبحانه: {إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾} [القمر:٤٩]، وقال: {وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾} [الأحزاب:٣٨]، وقال تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾} [الحديد:٢٢].

---

[1] أخرجه الترمذي (٢١٤٣)، وصححه الألباني (الصحيحة ١١٥٢).

[٢] هل هناك تعارضٌ بين نفيِ النبيِّ ﷺ الطِّيَرةَ ثم إثباتِها في المرأةِ والدَّابةِ والدار والخادم؟

أولًا: الأحاديث التي نفَتِ الطِّيَرةَ

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**». قالوا: وما الفأْلُ يا رسولَ الله؟ قال: «**الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**»[١].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ**»[٢].

* عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**». قيل: يا رسولَ الله، وما الفأْلُ؟ قال: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»[٣].

* حديث معاويةَ بنِ الحكَمِ السُّلَميِّ رضي الله عنه، وفيه: ومنَّا رجالٌ يتطيَّرون؟ قال: «**ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**»[٤].

---

[١] أخرجه البخاري (٥٤٢٢)، مسلم (٢٢٢٣).

[٢] أخرجه البخاري (٥٤٢٥).

[٣] أخرجه البخاري (٥٤٤٠) ومسلم (٢٢٢٤).

[٤] أخرجه مسلم (٥٣٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* وعن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا غُولَ**»[١].

في هذه الأحاديث نَفَى النبيُّ ﷺ الطِّيَرَةَ، وبيَّن فسادَها، وأنها لا تأثيرَ لها بذاتِها، وأرشَدَ إلى عدمِ الالتفات إليها؛ بل وبيَّن أنها من الشِّرك بالله؛ لأنها اعتقادٌ في غيرِ الله بالنفع والضر، وأنها سببٌ غيرُ شرعيٍّ، لم يشرَعْه اللهُ ولا رسولُه ﷺ في الكتاب ولا في السُّنة، فقال النبي ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» ثلاثًا، وقال ابن مسعود: وما منا إلا؛ ولكن اللهَ يُذهِبُه بالتوكُّلِ[٢].

فالطِّيَرةُ شركٌ لما فيها من تعلُّقِ القلبِ بغيرِ الله تعالى[٣].

ثانيًا: الأحاديثُ التي أثبتت الطيرةَ والشؤمَ

* حديث عبد الله بن عمر ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَالشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي المَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالدَّابَّةِ**»[٤].

وفي رواية: «**إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ، وَالدَّارِ**»[١].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٢٢٢).

[٢] أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٦٦٣)، وصححه الألباني.

[٣] انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله (ص٤٣٨).

[٤] أخرجه البخاري (٥٤٢١)، ومسلم (٢٢٢٤).

وفي رواية: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ فَفِي المَرْأَةِ، وَالفَرَسِ، وَالمَسْكَنِ**»[٢].

وفي لفظ: «**إِنْ يَكُنْ مِنَ الشُّؤْمِ شَيْءٌ حَقٌّ فَفِي الفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ، وَالدَّارِ**»[٣].

* عن سهل بن سعد ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فَفِي المَرْأَةِ وَالفَرَسِ وَالمَسْكَنِ**»[٤].

* عن جابر بن عبد الله ﷺ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**إِنْ كانَ فِي شَيءٍ**- أي: الشُّؤْمُ- **فَفِي الرَّبْعِ**- أي: الدار- **والخَادِمِ، وَالفَرَسِ**»[٥].

أما رواية أمِّ سَلَمة في «سنن ابن ماجه» بزيادة: «وَفِي السَّيْفِ» فلا تصِحُّ عن النبيِّ ﷺ، فهي زيادةٌ شاذةٌ كما نصَّ عليها الألبانيُّ[٦].

---

[١] أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (٢٢٢٥).

[٢] أخرجه البخاري (٢٨٥٩).

[٣] أخرجه مسلم (٢٢٢٥).

[٤] أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٢٢٢٦).

[٥] أخرجه مسلم (٢٢٢٧).

[٦] «صحيح سنن ابن ماجه» (٤/ ٣٣٧) رقم(١٦٢٢).

هل هناك تعارُضٌ بين هذه الأحاديثِ والأخرى التي سبقت؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارضٍ بين هذه الأحاديثِ؛ وإنما المعنى نفيُ النبيِّ ﷺ للطِّيَرةِ؛ وهي التشاؤمُ أو التفاؤلُ بشخصٍ أو يومٍ أو شهرٍ ونحو ذلك؛ بل جعل ذلك من الشِّركِ بالله؛ لأنه اعتقادٌ في غيرِ الله بالنفع والضر، وتوكُّلٌ على غيرِ الله تعالى، واتخاذُ سببٍ لم يشرَعْهُ الله تعالى.

وأما قولُه بأنَّ الطِّيَرةَ تكونُ في المرأةِ والمسكنِ والدابة والخادم فمعناه: أن شؤمَ المرأةِ سوءُ خُلُقِها وسوءُ تبَعُّلِها لزوجها، وكثرةُ مشاكِلها ونكدِها.

وشُؤمُ المسكنِ سوءُ أخلاقِ جيرانِه، أو ضيقُه على أهله، وقد يُقدِّرُ الله تعالى بلاءً في سكناه لمَن سكنه، كما ورد في «سنن أبي داود»، قال رجلٌ: يا رسولَ الله، إنَّا كنَّا في دارٍ كثيرٌ فيها عددُنا، وكثيرٌ فيها أموالُنا، فنزلنا إلى دارٍ أخرَى، فقلَّ فيها عددُنا، وقلَّت فيها أموالُنا؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ذَرُوهَا ذَمِيمَةً**»[1].

وشؤمُ الدابَّةِ أن تكونَ غيرَ مطيعةٍ، أو يُقدِّرَ اللهُ لمَن صحِبَها وركِبَها بلاءً.

---

[1] أخرجه أبو داود (٢٩١٧)، وحسنه الألباني.

وشؤمُ الخادِمِ سوءُ أخلاقِه، أو سوءُ تدبيرِه، أو سوءُ فهمِه، أو إصابتُه بعينه لمَن يخدُمُهم ونحو ذلك، وكلُّه بتقدير الله تعالى[١].

ولذلك ورد في الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ: مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ: المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابنِ آدَمَ: المَرْأَةُ السُّوءُ، وَالمَسْكَنُ السُّوءُ، وَالمَرْكَبُ السُّوءُ**[٢]».

ومِن هَدْيِ النبيِّ ﷺ إذا رُزِق الإنسانُ بزوجةٍ أو دابةٍ أو خادِمٍ أن يأخُذَ بناصيَتِه، ويسألَ اللهَ خيرَه وخيرَ ما جبَلَه عليه، ويستعيذَ بالله من شرِّهِ وشرِّ ما جبَلَه عليه، فعن عبد الله بن عمر ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِذَا أَفَادَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً أَوْ خَادِمًا أَوْ دَابَّةً فَلْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا وَخَيْرِ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ**»[٣].

---

[١] انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢١٨)، ولطائف المعارف لابن رجب (ص٨٣)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٣/ ٣٤٢)، ومعارج القبول (٢/ ٢٧٠).

[٢] أخرجه أحمد (١٤٤٥)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٤٧).

[٣] أخرجه أبو داود (١٨٦٢)، وابن ماجه (١٩١٨)، وحسنه الألباني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما عن معنى الطِّيَرة فهي بكسر الطاء وفتح الياء وقد تُسكَّن؛ وهي التشاؤمُ بالشيء، وأصلُ التطيُّرِ مأخوذٌ من زجرِ الطير ومرورِه يمنةً أو يسرةً، فإن طار يمينًا تفاءلُوا ومضَوا لشأنهم، وإن طار يسارًا تشاءَموا ولم يمضوا لشأنهم، فكانت تصُدُّهم في كثيرٍ من الأحيان عن مصالحِهم؛ لسوءِ ظنِّهم بالله واعتقادِهم في غيره[١].

ولذلك قال القَرافيُّ رحمه الله: التطيُّرُ هو الظنُّ السيِّئُ الكائنُ في القلب، والطِّيَرةُ هي الفعلُ المترتبُ على هذا الظنِّ من فرارٍ وغيره[٢].

والشؤمُ والطِّيرةُ بمعنًى واحدٍ، كما قال الحافظ ابنُ حجرٍ رحمه الله[٣].

ما معنى الفأل الحسن، وهل هو من الطيرة؟

الفألُ الحسَنُ هو الاستبشارُ بحلول الخيرِ وزوالِ المكروه بحسن الظنِّ بالله تعالى، أو هو إحسانُ الظنِّ باللهِ بحلول الخيرِ وإذهابِ الشرِّ.

---

[١] انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ١٥٢)، ولسان العرب (٤/ ٥١١)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٤/ ٤٧٠)، والتمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٨٢)، ومفتاح دار السعادة (٣/ ٢٦٨).

[٢] انظر: الفروق للقرافي (٤/ ٢٣٨).

[٣] انظر: فتح الباري (٦/ ١/ ٦١)، (١٠/ ٢١٣).

وقد تقدَّم حديثُ أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**». قالوا: وما الفألُ يا رسولَ الله؟ قال: «**الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**».

قال ابنُ القيِّم ﷺ: «وأخبر النبيُّ ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ أن الفألَ من الطِّيَرةِ، وهو خيرُها، فقال: «**لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**»، فأبطل الطِّيَرة، وأخبر أنَّ الفألَ منها؛ ولكنَّه خيرُها، ففصَلَ بين الفألِ والطِّيَرةِ لِما بينهما من الامتيازِ والتضادِّ، ونفعِ أحدِهما ومَضَرَّةِ الآخرِ، ونظيرُ هذا مَنْعُه من الرُّقَى بالشِّرك، وإذنُه في الرُّقية إذا لم تكن شركًا؛ لِما فيها من المنفعةِ الخاليةِ من المفسدة» [(١)].

ولذلك قال الحافظ ابنُ حجرٍ في تعليقه على حديث حابسٍ التميميِّ ﷺ، عن النبي ﷺ: «**وَالعَيْنُ حَقٌّ، وَأَصْدَقُ الطِّيَرَةِ الفَأْلُ**» [(٢)].

قال: ففي هذا الحديث التصريحُ أن الفألَ من جملة الطِّيَرة؛ لكنه مستثنًى [(٣)].

[(١)] مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٠٨).

[(٢)] أخرجه أحمد (٥٦/ ٢٠ـ ٥٧/ ٢٠ـ٥٨/ ٢٠)، وصححه الألباني في الأدب المفرد للبخاري (٧٠١).

[(٣)] فتح الباري (١٠/ ٢١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذكَرَ الكِرمانيُّ في «شرحه لصحيح البخاري» أن الفأَلَ ليس من الطِّيَرة، وقال تعليقًا على حديث أبي هريرةَ ﷺ: «**وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**»: الإضافةُ لمجرَّدِ التوضيحِ، فلا يلزمُ أن يكونَ منها [١].

واستدل هو ومَن قال بهذا القولِ بالحديثِ السابقِ عن أنسٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**». قيل: يا رسولَ الله، وما الفأْلُ؟ قال: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**». وبحديثِ أبي هريرة ﷺ، قال: كان النبيُّ ﷺ يُعجِبُهُ الفأْلُ الحسَنُ، ويَكرَهُ الطِّيَرةُ [٢].

والخلافُ في ذلك سهلٌ يسيرٌ، لا يترتَّبُ عليه حكمٌ.

ومِن الفألِ الحسنِ أن النبيَّ ﷺ لما جاءه سُهَيلُ بن عمرٍو في الحُدَيبية قال للصحابة: «**لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**»[٣]، فاستبشر النبيُّ ﷺ بالفَرَجِ وسهولةِ الأمرِ بقدوم سُهَيلٍ، وأخذ من معنى اسمِه حُسنَ الظنِّ بالله تعالى بتسهيل الأمر.

---

[١] صحيح البخاري بشرح الكرماني (٢١/ ٣٢).

[٢] أخرجه أحمد (٨١٩٢)، وابن ماجه (٣٥٣٦)، وحسنه الألباني وابن حجر.

[٣] أخرجه البخاري (٢٥٨١).

ومن ذلك ما اعتقده الناسُ قديمًا وحديثًا من قولهم عن المريض أو اللديغ: «فلانٌ سَليمٌ»، كما جرى في حديث أبي سعيدٍ الخدري في رُقية اللَّديغ الذي لدغته حيَّةٌ، فقالوا: «سَليمٌ»؛ استبشارًا بسلامته ونجاتِه، وكما يقولُ الناس عن المريض: «فلان بعافية»؛ استبشارًا بمعافاته من المرض والبلاء، فهذا من الفأل الحسنِ الذي هو استبشارٌ بالخير بحسن الظنِّ بالله تعالى.

ولذلك نقل الحافظُ ابنُ حجرٍ عن الحليمي قوله: «وإنما كان النبيُّ ﷺ يُعجِبُه الفألُ؛ لأن التشاؤمَ سوءُ ظنٍّ بالله تعالى بغير سببٍ ظاهرٍ، والتفاؤلَ حُسْنُ ظنٍّ به، والمؤمنُ مأمورٌ بحُسنِ الظنِّ بالله تعالى على كلِّ حالٍ»[(١)].

ويشترطُ في الفأل ألَّا يعتمِدَ عليه، وألَّا يكونَ مقصودًا؛ بل إنه يتفِقُ للإنسان ذلك من غيرِ أن يكونَ له على بالٍ من باب حُسنِ الظنِّ بالله تعالى، والتوكل عليه، والرجاء فيه، والاستعانة به[(٢)].

فالتطيُّرُ تشاؤمٌ وتوكُّلٌ وتعلُّقٌ بغير الله وشِركٌ، وهذا منافٍ لمقام: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥} [الفاتحة:٥] ، وقوله: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨} [هود:٨٨].

[(١)] فتح الباري (١٠/ ٢١٥).

[(٢)] انظر: معارج القبول (٢/ ٢٧١)، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/ ٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما الفألُ الحسنُ فهو تعلُّقٌ باللهِ، وتوكلٌ عليه، ورجاءٌ في رحمتِه، وحسنُ ظنٍّ به، فهو توحيدٌ وطاعةٌ وسُنَّةٌ[١].

[٣] هل شكَّ إبراهيمُ عليه السلام في قدرة الله على إحياء الموتى؟

وما هو الركنُ الشديدُ الذي كان لوطٌ يأوي إليه ؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِن إبْرَاهِيمَ إذْ قالَ**: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ}، **ويَرْحَمُ اللهُ لُوطًا؛ لقَدْ كانَ يَأْوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ، ولو لَبِثْتُ في السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ يُوسُفُ لَأجَبْتُ الدَّاعِيَ**»[٢].

وقد اشتمل هذا الحديثُ على ثلاثِ مسائلَ:

المسألة الأولى: هل شكَّ إبراهيمُ عليه السلام في قدرةِ الله على إحياءِ الموتى؟

---

[١] انظر: القول السديد للسعدي (ص٣١)، ومفتاح دار السعادة (٣/ ٣١١).

[٢] أخرجه البخاري (٣١٢٩، ٤٤١٧)، ومسلم (١٥١).

علمًا بأن الشكَّ في لغة العربِ خلافُ اليقينِ ونقيضُه، وهو التردُّدُ بين شيئين؛ بحيث يصعُبُ ترجيحُ أحدِهما على الآخر.

ولبيان هذا المعنى في حقِّ نبيِّ اللهِ إبراهيمَ عليه السلام، ومعنى قولِ نبيِّنا محمدٍ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِن إِبْرَاهِيمَ**» ننظرُ إلى فهم أهل العلم لهذا الحديث:

أولًا: ذهب جمهورُ العلماء إلى تنزيه إبراهيمَ ومحمدٍ عليهما السلام عن الشكِّ في قدرةِ الله على إحياء الموتى، وأن هذا محالٌ في حقِّ جميع الأنبياء.

وقالوا: المرادُ بهذا الحديث هو نفيُ الشك عن إبراهيم، فإن إبراهيم لم يشكَّ أبدًا، ولوكان الشكُّ تطرَّق لإبراهيم لكنا نحن أحقَّ بالشك منه، فإذا كنا نحن لم نشُكَّ أبدًا، فإبراهيمُ الخليلُ أبو الأنبياء أولى بذلك[1].

وهذا قول أكثر العلماء، كالطحاويِّ، والنوويِّ، والخطابيِّ، والحميديِّ، وابن قُتَيبة، وابنِ حزمٍ، والقاضي عياضٍ، والنوويِّ، وابنِ الجوزي، وابن عثيمين وغيرِهم[1].

---

[1] انظر: الصحاح، للجوهري (٤/٣٠٨)، ولسان العرب (١٠/٤٥١)، والمصباح المنير (١/٣٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقولُ النبيِّ محمد ﷺ: «**نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِن إِبْرَاهِيمَ**» صدر منه على سبيل التواضُعِ وهضمِ حقِّ النفس، ولبيانِ أنَّ إبراهيمَ يستحيلُ في حقِّه الشكُّ، وإنما أراد بسؤاله لربِّه أن يزدادَ يقينًا على يقينه.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: ومعلومٌ أنَّ إبراهيمَ كان مؤمنًا، كما أخبر الله عنه بقولِه: {قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ}؛ ولكن طلَبَ طمأنينةَ قلبِه، كما قال: {وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ}، فالتفاوتُ بين الإيمانِ والاطمئنانِ سمَّاه النبيُّ ﷺ شكًّا لذلك بإحياء الموتى، فإبراهيمُ كان مؤمنًا موقنًا ليس عنده شكٌّ يقدَحُ في يقينه؛ ولكنَّ الرسولَ ﷺ عبَّر عن هذا المعنى بهذه العبارة[٢].

---

[١] انظر: شرح مشكل الآثار للطحاوي (١/ ١٨٤)، والفِصَل لابن حزم (٢/ ٣٩٢)، والشفاء للقاضي عياض(ص٣١٠)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٥٤٢)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/ ٢١٩)، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٩١-٩٢)، وأعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٥٤).

[٢] الدبيجي (ص ٤٠٢).

وأما قولُ الإمام ابن حِبَّان وإسماعيل بن يحيى المُزَني صاحبِ الشافعيِّ: إن إبراهيمَ ونبيَّنا محمدًا لم يشُكَّا في قدرةِ الله على إحياء الموتى، وإنما شكا أن يُجيبَهما إلى ما سألا[١]: فهو قولٌ غيرُ صحيحٍ، ولا دليلَ عليه.

وخلاصة أقوال أهل العلم:

أن إبراهيمَ كان على يقينٍ كاملٍ بقدرةِ ربِّه ﷻ على إحياء الموتى؛ ولكنه أراد أن يترقى من درجة علمِ اليقين إلى حقِّ اليقين، ولم يكن بذلك شاكًّا في القدرة، ولا جاهلًا بمعنى الإحياء[٢].

وأما ما ذكره الإمام الطبريُّ في «تفسيره» ورجَّحه من أن إبراهيمَ وقع الشكُّ عنده لعارضٍ عرَضَ له من الشيطان: فهو قولٌ باطلٌ، لا دليلَ عليه؛ بل يتعارض مع عصمة الأنبياء، فهم معصومون عن الجهل بالله وصفاتِه وقواعِدِ شرائعه[٣].

---

[١] صحيح بن حبان (١٤/ ٨٩-٩٠)، وشرح السنة للبغوي (١/ ١١٥)، الأسماء والصفات البيهقي (٢/ ٤٨٧).

[٢] تفسير السعدي (١/ ٣٢٣)، تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٧)، شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٢٤٥)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤١٣)، تفسير ابن عثيمين (٣/ ٣٠٣).

[٣] انظر: الروض الباسم لابن الوزير(ص٢/ ٤٦٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال القرطبي: لا يجوزُ على الأنبياء مثلُ هذا الشكِّ؛ فإنه كفرٌ، والأنبياءُ متفقون على الإيمان بالبعثِ [١]؛ بل هو ركنٌ من أركانِ الإيمان التي لا يصِحُّ دينُ العبد إلا به.

معنى قول النبيِّ ﷺ: «وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»:

قال اللهُ تعالى في سورة هودٍ عن قول لوطٍ عليه السلام لقومِه: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾} [هود: ٨٠].

ذهَبَ الطبريُّ والقرطبيُّ وابنُ كثيرٍ والسعدي وغيرُهم إلى أن معنى قولِ لوط: {أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ}؛ أي: قبيلةٍ قويةٍ مانعةٍ؛ لتمنَعَكُم من الوصولِ إلى أضيافي، وذلك لمَّا جاءت الملائكةُ في صورةِ شبابٍ حِسَانٍ، وهو لا يدري أنهم ملائكةٌ، {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾} [هود:٧٧]؛ أي: شديدٌ حرَجُه؛ لأنه يعلمُ أن قومَه لا يتركونهم، وجاؤوا يُهرَعون إليه؛ أي: مسرعين مبادرين يريدون أن يفعلوا الفاحشةَ في هؤلاء الضِّيفان، فاشتدَّ خوفُ لوطٍ وقلقُه عليهم، فقال لقومِه: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾}؛ أي:

---

[١] تفسير الطبري (٣/ ٢٩٩).

قبيلةٍ قويةٍ مانعةٍ لتمنَعَكُم، وحينها أخبَرَتْه الملائكةُ بحالهم؛ ليطمئنَّ فـ{قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ}، وذلك لأن لوطًا عليه السلام لم يكُنْ له أحدٌ يجتمِعُ معه في النسبِ، فهو من العراقِ، وهم مِن «سَدُومَ» بالشام، فقال: لو أنَّ لي أقاربَ عشيرةً وعصبةً لكنتُ أستنصِرُ بهم عليكم؛ ليدفعوا الأذى عن أضيافي[1].

وأما معنى قول النبيِّ ﷺ: «**وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**»: فقد اختلفت فيه أفهامُ أهلِ العلمِ على النحو الآتي:

أ- قال بعضُ أهلِ العلمِ- كالنوويِّ، والطحاويِّ، والبَغَوي، والقاضي عياضٍ، وابنِ الأثير، والقرطبيِّ، وابن قُتَيبة، وابن حجرٍ، وغيرِهم-: رحِمَه الله على هذا التمنِّي الذي فرَطَ منه في وقت الضيقِ والشدةِ؛ حيث سها فذكر الأسبابَ المحسوسةَ من قومه وعشيرته، مع أنه كان يأوي إلى أشدِّ الأركانِ وأقواها، وهو اللهُ سبحانه وتعالى[2].

---

[1] انظر: تفسير الطبري وابن كثير والقرطبى والسعدى لتفسير الآيات.

[2] انظر: شرح السنة للبغوي (١/ ١١٧)، وإكمال المعلم للقاضي عياض(١/ ٤٦٦)، وتفسير القرطبي (٩/ ٧٨)، ومشكل الآثار للطحاوي (١/ ١٨٥-١٨٧)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٥٤٣)، وفتح الباري (٦/ ٤١٥)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ٢٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذلك لحديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**وَرَحْمَةُ اللهِ عَلَى لُوطٍ، إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكنٍ شَدِيدٍ؛ إذ قال:** {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾}، **فَمَا بَعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِه نَبِيًّا إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ**»[١]. والثَّرْوةُ هي الكثرةُ والمَنَعةُ[٢].

ب ـ وذهب ابنُ حزمٍ إلى أن المعنى: لا تثريبَ على لوطٍ في قوله هذا، فلم يقصد النبيُّ ﷺ لومَه على ذلك، وإنما أراد الإخبارَ بأن لوطًا كان في نصرٍ من الله بالملائكة؛ لكنه لم يكُنْ يعلَمُ ذلك، وقد طلب النبيُّ ﷺ من الأنصار والمهاجرين مَنْعَه وحمايَتَه؛ حتى يُبلِّغَ كلامَ ربِّه، وبايَعَهم على ذلك، فكيف يُنكِرُ على لوطٍ فِعله[٣]؟!

ج ـ ذهب ابنُ الجوزيِّ إلى أن لوطًا لم يغفُلْ عن اللهِ، ولا عن التوكُّلِ عليه؛ لكن لما كان ظاهرُ الكلام نسيانَه لله تعالى أراد النبيُّ ﷺ منا ألَّا نقولَ ما يُوهِمُ ذلك[٤].

---

[١] أخرجه أحمد (٨٣٧٣)، والترمذي (٤٠٥٤)، وحسنه الترمذي والألباني، وصححه الشيخ شاكر.

[٢] انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٢١٠).

[٣] انظر: الفِصَل لابن حزم (٢/ ٢٩٤).

[٤] انظر: كشف المشكل لابن الجوزي (٣/ ٣٥٨).

ـ وقال محمد بن خِلفة الأُبِّيُّ المالكي التونسي- نسبة الى بلده «أُبَّة»-: إن لوطًا قصد من قوله هذا إظهارَ العذرِ لأضيافِه وتطييبَ نفوسِهم، ولم يكن قطُّ مُعرِضًا عن اللهِ والاعتمادِ عليه، وأما قولُ الرسولِ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ لُوطًا**» فإنما أراد المدحَ والثناءَ[1].

وقال الأُبِّيُّ: السياقُ إنما يدلُّ على أن المقصودَ إظهارُ كمالِ هؤلاء السادة، ورزانةِ عقولهم، فمعنى قوله: «**إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكنٍ شَدِيدٍ**» أن لوطًا كان مطمئنَّ القلبِ بالاستناد إلى الله تعالى غيرَ ملتفتٍ عنه أصلًا.

فالكلُّ متفقٌ على أن لوطًا عليه السلام لم يركَنْ إلى غيرِ الله طَرْفةَ عينٍ، وهذا دأْبُ جميعِ الأنبياء.

---

[1] انظر: إكمال إكمال المعلم للأبي (١/ ٤٣٦)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٥٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معنى قولِه ﷺ: «وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»:

أراد النبيُّ ﷺ بذلك الثناءَ العطِرَ على نبيِّ الله يوسفَ، وبيانَ فضلِه وقوةَ صبرِه وحزمِه ويقينِه بربِّه، فقد مكَثَ في السجنِ بضعَ سنين مظلومًا، وجاءته فرصةٌ للخروج، فأبى أن يخرُجَ وهو متَّهمٌ بما يَشينُ عرضَه وكرامتَه وسُمْعته، إلا أن تظهَرَ براءتُه وكمالُ عفَّتِه ونزاهتِه، فيخرجَ خروجَ مَن له الحجَّةُ والعِزةُ، لا خروجَ المتَّهمِ الممنون عليه، فقال للداعي: {ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠} [يوسف:٥٠].

وقد أظهر اللهُ البراءةَ والعزَّةَ والمكانةَ العاليةَ التي صار بها ممكَّنًا في الأرضِ يتبوَّأُ منها حيث يشاءُ.وهذا القول من نبيِّنا محمدٍ ﷺ في حق أخيه يوسفَ إنما هو من تواضعِه وأدبِه وثنائِه على أخيه يوسفَ عليهما السلام، وهذا قولُ سلفِ الأمة من الفقهاء والمحدثين والمفسرين[1].

---

[1] انظر: أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٥٤٦)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (١/ ٤٦٥)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٥٤٣)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٤١٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٧٤٤)، والقرطبي (٩/ ٢٠٦)، وشرح مشكِل الآثار للطحاوي (١/ ١٨٧)، وشرح السنة للبغوي (١/ ١٢٦).

[٤] هل الظِّلُّ صفةٌ للهِ تعالى؟

وردت أحاديثُ كثيرةٌ في ظلِّ الله تعالى، ونذكُرُ منها على سبيل المثال:

عن أبي هريرة ﷺ، قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ: اجْتَمَعَا عَلَيهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ، وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاها، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[(١)].

فالظلُّ في هذا الحديثِ جاء مضافًا إلى الله تعالى، فهل هو من صفاته؟

الجواب: اختلفت أفهامُ أهلِ العلمِ في ذلك على ثلاثةِ مسالك:

الأول: أنَّ المرادَ بالظلِّ هو ظلُّ العرشِ، وذلك للآتي:

١ـ لما ورد في بعض طرق هذا الحديث: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**» عند سعيد بن منصورٍ بسندٍ حسنٍ[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩ـ١٣٥٧ـ٦١١٤)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) فتح الباري (٢/ ١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعند الطحاويِّ بلفظ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»، وسندُه صحيحٌ على شرطِ البخاريِّ[١].

٢ـ أن الظِّلَّ جاء مضافًا إلى العرشِ في أحاديثَ أخرى صحيحةٍ، منها:

ففي حديث أبي اليَسَرِ عن النبيِّ ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**»[٢].

وفي حديث أبي قتادة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ العَرْشِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٣].

وفي حديث معاذٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ: «**المُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»[٤].

وهذا قولُ أكثرِ العلماء منهم: ابنُ عبدِ البَرِّ، وابنُ رجبٍ، والطحاويُّ، والقرطبيُّ، وابنُ حَجَرٍ، والسيوطيُّ، وحافظ حكمي، وغيرهم.

---

[١] أخرجه الطحاوي في المشكل (٣/ ٧٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: على شرط البخاري.

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة (٢٢١١) بسند صحيح.

[٣] أخرجه أحمد (٢٢٥٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٧٦).

[٤] أخرجه أحمد (٢٢٠٦٤)، وصححه محققو المسند.

الثاني: أنَّ المرادَ بالظلِّ المضافِ إلى اللهِ تعالى في الحديث هو رحمتُه سبحانه وكرامتُه ورعايتُه وحمايتُه، وهذا أحدُ قولي ابن عبد البَرِّ، والبَغَويِّ، والبَيْهَقيِّ، وغيرِهم؛ وذلك لأنهم فسَّروا الرحمةَ بدخولِ الجنَّة؛ لقولِه تعالى في وصف الجنَّة: {أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا} [الرعد:٣٥]، وقولِه: {وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾} [الواقعة:٣٠]، وقوله: {إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾} [المرسلات:٤١][1].

الثالث: أنَّ المرادَ بالظلِّ ظلٌّ يخلُقُه اللهُ في هذا الموقف؛ لأن أرضَ القيامة ليس فيها شيءٌ يُظلِّلُ الناسَ من الشمس، {لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾} [طه:١٠٧]، وهذا ما ذهب إليه الشيخ ابن العثيمين رحمه الله[2].

والذي يظهر رجحانُه: هو القولُ الأولُ بدلالة النصوصِ الصحيحةِ الواردة المفسِّرة لهذا الحديثِ بأنَّ الظلَّ المضافَ إلى الله تعالى هو ظِلُّ العرشِ من باب إضافة المخلوقِ إلى خالِقِه، لا من بابِ إضافةِ الصفةِ إلى الموصوف.

---

[1] انظر: التمهيد (٢/ ٢٨٢)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٧/ ١٢٦).

[2] انظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ١٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٥] هل التَّردُّدُ مِن صفاتِ الله تعالى؟

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[١].

التردُّدُ: معناه التوقفُ في الأمرِ وعدمُ العزمِ عليه، وغالبًا يكونُ بسببِ عدم العلمِ بالعواقب المترتِّبة على فعل الأمر من عدمه، وهذا الوصفُ بهذا المعنى محالٌ في حقِّ الله العليم الخبير الذي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفِي الصدورُ، والذي قدَّر مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يخلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾} [الملك:١٤].

إذًا فما معنى التَّردُّدِ الواردِ في هذا الحديثِ الصحيح؟

---

[١] أخرجه البخاري (٦١٣٧).

اختلفت أفهامُ العلماء في المرادِ بالتردد كوصفٍ مضافٍ إلى الله تعالى على قولين:

الأول: إجراءُ الحديثِ على ظاهرِه، والأخذُ بمدلولِه في إثبات التردُّدِ صفةً لله تعالى، على ما يليقُ بجلالِه وعظمتِه، مع القطعِ بكونِ تردُّدِه سبحانه ليس كتردُّد المخلوقِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾} [الشورى:١١]. وهذا قولُ شيخِ الإسلام ابن تيميَّة والشيخ عبد العزيز بنِ بازٍ[1].

الثاني: نفيُ صفةِ التردُّدِ عن الله تعالى؛ لأن معناه السالفَ ذكرُه محالٌ في حقِّ الله، وإنما معنى قوله: «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»: عطفُ اللهِ على عبدِه، ولطفُه به، وشفقتُه ورحمتُه عليه، وهذا ما ذهب إليه الخطابيُّ، والبيهقيُّ، والبَغَويُّ.

فالعبدُ قد يمرَضُ ويُشرِفُ على الهلاكِ، ثم يدعو ويتضرَّعُ إلى الله، فيزيدُ الله له في العُمُر، كما قال تعالى: {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾} [الرعد:٣٩].

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨/ ١٢٩-١٣١)و(١٠-٥٨)، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٩/ ٤١٧).

فقد يُقدِّرُ له من العُمُر خمسين سنةً، ثم يدعو ويتصدَّقُ ويصِلُ الرحمَ ونحو ذلك، فيزيدُ اللهُ له إلى السبعين مثلًا.

والذي يظهرُ رجحانُه- والعلم عند الله تعالى- هو إثباتُ صفة التردُّد لله على ما يليقُ بجلاله وكماله كما ورد في الحديثِ، وحقيقةُ التردُّدِ هنا هي أن الشيءَ يكونُ محبوبًا من وجهٍ، ومكروهًا من وجهٍ آخَرَ، فاللهُ يحبُّ عبدَه المؤمنَ، والموتُ شاقٌّ عليه، فيكرَهُ اللهُ مساءتَه؛ ولكن لا بدَّ من قبض رُوحِه لما هو خير له في لقاء ربِّه تعالى وفوزِه برضوانه.

ولذلك ورد في بعضِ رواياتِ الحديث: «**يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ**»، كما ورد في حديث أنسٍ رضي الله عنه.

وأما قولُه في الحديث: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»: فليس معناه كما زعمت الحُلُوليَّة مِن الزَّنادقة أن اللهَ يحُلُّ في عبدِه؛ حتى يصيرَ العبدُ ربًّا والربُّ عبدًا كما زعموا، وإنما المرادُ أنَّ الوليَّ الصالحَ المستقيمَ على منهج الله والمتبعَ لسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ يكونُ في معيَّةِ الله وحفظِه وكفايتِه، فيُسدِّدُه في سمعِه وبصَرِه ولِسانِه وجميعِ جوارحِه؛ بل وقلبِه، فيُوفِّقُه للإخلاصِ والاتباع، ويحفَظُ

جوارِحَه من أن يعصِيَ اللهَ بها، كما كان النبيُّ ﷺ يدعو ربَّه ويقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا...**»[١].

[٦] حديث: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ» حديث معلول على الراجح:

عن أبي هريرة قال أخذ رسولُ الله ﷺ بيدِي فقال: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَوْمَ السَّابِعِ، وَخَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَالجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَالشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَالمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَالنُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَالدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ**»[٢].

وقد استنكر جماعة من أهل العلم هذا الحديث لما يلي:

١ـ أنه لم يذكُرْ خلْقَ السماء.

٢ـ جعل خلْقَ الأرضِ في ستة أيام.

---

[١] أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).

[٢] أخرجه مسلم (٢٧٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣ـ جعل الخلقَ في سبعة أيام.

٤ـ جعل يومَ السبتِ من أيام الخلق.

٥ـ كلُّ هذا مناقضٌ لنصِّ القرآن الذي بيَّن أن خلْقَ السمواتِ والأرضِ كان في ستة أيامٍ، أربعةٌ منها للأرض، ويومان للسماء، قال سبحانه: {۞قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾} [فصلت:٩-١٢].

٦ـ مخالفٌ للآثار القائلة بأن أولَ الستة أيام يومُ الأحد، ونقل الطبريُّ وشيخُ الإسلام ابن تيمية الإجماعَ على ذلك[١].

فالحديث معلولٌ سندًا ومتنًا، كما ذهب إليه البخاريُّ، وعليُّ بن المَديني، ويحيى بن مَعين، وعبد الرحمن بن مهديٍّ، وابن تيميَّة، وابن القيِّم، وابنُ كثير، وابن عثيمين وغيرُهم[١].

---

[١] انظر: تاريخ الطبري (١/ ٤٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٢٥٧)، والتوسل والوسيلة (ص١٠٠)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/ ٧١)، والمنار المنيف (ص٧٢).

وقد صحَّحه الإمام مسلمٌ، وابن حِبَّان، وابنُ الأنباري، وابن الجوزي، والشيخ أحمد شاكر، والمعلمي، والألباني[٢].

وقد سلك الألباني مسلكًا عجيبًا في الجمع بين هذا الحديث وبين ما ورد في القرآن وما ورد في الآثار وإجماعِ العلماءِ على أن الخلقَ كان في ستة أيامٍ، فقال ﷺ: «الأيام السبعة في الحديث هي غيرُ الأيام السِّتة في القرآن، فالحديثُ يتحدَّث عن التفصيل الذي أجراه الله على الأرض، فهو يزيدُ على القرآن، ولا يخالفه[٣].

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ٢٥٦)،(١٨/ ١٨)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٥٦)، والبداية والنهاية (١/ ١٤)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/ ٥٢٢).

[٢] أخرجه ابن حبان (٦١٦١)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٨)، وزاد المسير (٧/ ٢٤٣).

[٣] انظر: مختصر العلو، للألباني (ص١١٢)، وتعليقه على مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٩٨)، دكتور سليمان الديبجي(ص٣٥٦-٣٧٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٧] هل الدهرُ من أسماءِ الله تعالى؟

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»[(١)].

* وقال النبيُّ ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»[(٢)].

الدهرُ والزمانُ بمعنًى واحدٍ[(٣)].

لكن ما معنى الحديثِ، وهل الدهرُ اسمٌ لله تعالى؟

معنى الحديث: كان أهلُ الجاهلية إذا أصابتهم الكوارثُ والمصائبُ يَنسُبون ذلك للدهر، فيقولون: أتى علينا الدهرُ، أصابنا الدهرُ، أبادنا الدهر، جار علينا الزمنُ، ونحو ذلك من العبارات، فينسُبون الأقدارَ إلى الدهر، ثم يسُبُّونه، فيقولون: قبَّح اللهُ الدهرَ الذي شتَّت شملَنا، وأذهَبَ أموالَنا، وأمات شبابَنا، وأفقر غنيَّنا... ونحو ذلك، لعن اللهُ الزمنَ أو اليومَ الذي حصل فيه كذا، فبيَّن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٧-٤٥٤٩-٧٠٥٣)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢٤٦)، واللفظ له.

(٣) انظر: لسان العرب (٤/ ٢٩٣)، والصحاح للجوهري(٢/ ٦٦١).

النبيُّ ﷺ بطلانَ هذه العقيدةِ، وأن كلَّ شيءٍ يجري في هذه الحياة فإنما هو بقضاءِ الله وقدَرِه ومشيئتِه، فهو صاحبُ الخلقِ والأمر ومقلِّبُ الليل والنهار، ومُدَبِّرُ الكونِ، ومُصَرِّفُ الدهرِ سبحانه وتعالى وحدَه لا شريكَ له.

وفي الحديثِ الذي قال الله فيه: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» وكذا قوله ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»؛ أي: هو مُدبِّرُ الدهرِ ومُصرِّفُه.

فهل الدهرُ مِن أسماء الله تعالى؟

اختلفت أفهامُ العلماءِ في هذه المسالة على النحو الآتي:

أولًا: ذهب جماهيرُ العلماء من السلفِ الصالح إلى أن الدهرَ ليس من أسماءِ الله تعالى لهذا المعنى الذي سبق ذكرُه للحديث، فاللهُ هو الدهرُ؛ أي: صاحبُه وخالِقُه ومدبِّرُ أمورِه، وهذا قولُ الشافعيِّ، والطبريِّ، والقرطبيِّ، وابن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كثيرٍ، وابنِ تيميَّة، والنوويِّ، وابنِ حجرٍ، وابن قُتَيبة، وابن عبد البر، وأبي يعلى، وأبي عبيدٍ القاسمِ بن سَلَّام، وابن عثيمين وغيرِهم[١].

وهناك مَن روى هذا الحديثَ بنصب «الدهرَ»، فيكون المعنى: وأنا طوالَ الدهرِ أقلِّبُ الليلَ والنهار.

ثانيًا: ذهب ابنُ حزمٍ ونُعَيم بن حماد وبعضُ العلماء إلى أن الدهرَ من أسماء الله تعالى بظاهر هذا الحديث: «**أَنَا الدَّهْرُ**»[٢].

وقولُهم باطلٌ لأنَّ اللهَ ردَّ قولَ الدهرية: {وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤} [الجاثية:٢٤]، فلو كان الدهرُ هو اللهَ لما أنكَرَ عليهم وكذبَّهم، فدل على أن الدهرَ ليس هو اللهَ، وليس من أسماءِ الله ﷻ.

والراجحُ البيِّنُ هو قولُ جماهير العلماء بأن الدهرَ ليس من أسماء الله تعالى، وإنما المعنى كما هو مفسَّرٌ في الحديث نفسِه: «**بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ**

---

[١] انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٥/ ٦)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٣١)، وتفسير الطبري (١١/ ٢٦٣)، والتمهيد (١٨/ ١٥٥)، والمفهم (٥/ ٥٤٧)، وفتاوى ابن تيمية (٢/ ٤٩١)، وفتح الباري (١٠/ ٥٦٥)، والقواعد المثلى (ص ٨-٩).

[٢] انظر: المحلى لابن حزم (٦/ ٢٨٢)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٤٩٤).

وَالنَّهَارَ»؛ أي: هو سبحانه مُدبِّرُ الدهرِ، ومُصَرِّفُه، ومُقلِّبُه، قال سبحانه: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢} [الزمر:٦٢].

وقد روى ابنُ جرير الطبري بسنده إلى أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا يُهْلِكُنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَهُوَ الَّذِي يُهْلِكُنَا وَيُمِيتُنَا وَيُحْيِينا، فقالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ**: {وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ...} [الجاثية:٢٤].

قال: فيسُبُّونَ الدهرَ، فقال اللهُ تبارك وتعالى: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»[1].

وقد ردَّ اللهُ قولَ الدهرية: {نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ...}، فقال: {وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤} ، فلو كان الدهرُ هو اللهَ لَمَا أنكَرَ عليهم وكذبَّهم، فدلَّ على أن الدهرَ ليس من أسماء الله تعالى.

أقسام سب الدهر:

قال العَلَّامةُ ابن عثيمين ﷺ: سبُّ الدهرِ ينقسمُ إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأول: أن يقصِدَ الخبرَ المحضَ دون اللوم، فهذا جائزٌ، مثلُ قولِ لوط عليه السلام: {هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧} [هود:٧٧]، وكقوله تعالى في إهلاك قوم عاد: {إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩} [القمر:١٩] ومثل أن تقولَ: تعِبْنا من شدَّة حرِّ هذا اليوم أو بردِه، وما يشبه ذلك، واللفظُ صالحٌ لمجرد الخبر.

الثاني: أن يسُبَّ الدهرَ على أنه هو الفاعلُ، كأن يعتقد بسبِّه الدهرَ أن الدهرَ هو الذي يُقلِّبُ الأمورَ إلى الخير والشر، فهذا شركٌ أكبرُ؛ لأنه اعتقد أنَّ مع الله خالقًا.

الثالث: أن يسُبَّ الدهرَ لا لاعتقادِ أنه الفاعل؛ بل يعتقد أن اللهَ هو الفاعل؛ لكن يسُبُّه لأنه محَلُّ الأمر المكروه عنده، فهذا محرَّمٌ؛ لأن سَبَّه في الحقيقة يعودُ إلى سبِّ اللهِ تعالى، وليس بشرك؛ لأنه لم يسُبَّ اللهَ مباشرةً [١].

وأما المفاسدُ المترتبة على سب الدهر فهي:

١ـ سبُّه لمَن ليس بأهلٍ أن يُسَبَّ، فالدهرُ مخلوقٌ مسخَّرٌ مأمورٌ بأمرِ الله منقادٌ لأمرِه مذلَّلٌ لتسخيره، فلماذا يُسَبُّ؟!

---

[١] انظر: القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٥١) بتصرف يسير.

٢ـ أن سبَّه متضمِّنٌ للشِّرك، كما سبق بيانُه لو اعتقده فاعلًا.

٣ـ أن سبَّه في الحقيقة يعودُ إلى الله؛ لأنه سبحانه هو الفاعلُ حقيقةً، وهو مُدبِّرُ الدهرِ، ومُصرِّفُ أمورِه، وهذا من أكبر الكبائر [١].

[١] انظر: زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٣٥٤ـ٣٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٨] هل المَلَلُ والسَّأمُ من صفات الله تعالى؟

نصُّ الأحاديث الدالِّ ظاهِرُها على ذلك:

* عن عائشة ﵂ قالت: كانت عندي امرأةٌ من بني أسدٍ، فدخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «**مَنْ هَذِهِ؟**» قلت: فلانةُ، لا تنامُ الليلَ، تذكُرُ مِن صلاتِها، فقال: «**مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لاَ يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»[١].

* وفي رواية لمسلم: «**خُذُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَسْأَمُ اللهُ حَتَّى تَسْأَمُوا**»[٢].

وعن عائشة ﵂ قالت: لم يكُن رسولُ الله ﷺ في الشهر من السَّنة أكثَرَ صيامًا منه في شعبان، وكان يقول: «**خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَاللهُ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»[٣]. وكان يقول ﷺ: «**أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[٤].

---

[١] أخرجه البخاري (١١٠٠)، ومسلم (٧٨٥).

[٢] أخرجه مسلم (٧٨٥).

[٣] أخرجه البخاري (٥٨٦١).

[٤] أخرجه البخاري (١٨٦٩)،ومسلم(٧٨٢).

وعن أمِّ المؤمنين عائشة ﵂: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يحتجِزُ حصيرًا بالليل فيصلي، ويبسُطُه بالنهار، فيجلِسُ عليه، فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﷺ، فيصلون بصلاتِه حتى كثُرُوا، فأقبَلَ فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، فَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ**»[1].

معنى الملل الوارد في الحديث:

المَلَلُ لغةً: هو استثقالُ الشيءِ، وإعراضُ النفس عنه وضجَرُها منه، وهو بهذا المعنى محالٌ في حقِّ الله.

هل المَلَل صفةٌ ثابتةٌ لله تعالى أم لا؟

اختلفت أفهامُ أهل العلم في ذلك على قولين:

الأول: أن المَلَل لا يصِحُّ أن يكونَ صفةً لله تعالى؛ لأن معناه استثقالُ الشيء، وإعراضُ النفس عنه، وضجرُها منه، وهذا لا يليقُ بالله تعالى، فلا يجوز بحالٍ

---

[1] أخرجه البخاري (٥٥٢٣)، ومسلم(٧٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يُوصَفَ اللهُ به؛ لأنه سبحانه مُنزَّهٌ عن النقائص والعيوبِ، ومِن جملتِها السآمةُ والمَلَلُ، وهو الحليمُ الغفورُ الرؤوف الرحيم [١].

وقد قال بذلك جماعةٌ من أهل السُّنَّة كابن قُتَيبة، والطحاويِّ، وابن عبد البَرِّ، وابن رجبٍ وغيرهم، وفسَّروا الحديثَ على وجهين:

الوجه الأول: «**لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»؛ أي: أن اللهَ تعالى لا يمَلُّ إذا مللتم، ولهذا شواهدُ في لغة العرب[٢].

والوجه الثاني: أن اللهَ تعالى لا يمَلُّ من إعطاء الثواب، ولا يقطَعُه عنكم؛ حتى تمَلُّوا أنتم وتتركوا العملَ [٣].

الثاني: أن الملَلَ صفةٌ ثابتةٌ لله تعالى بهذه الأحاديث؛ لكنَّه بالنسبة لله تعالى صفةُ كمالٍ، لا نقصَ فيه بوجهٍ من الوجوه، وهذا بخلاف مَلَلِ المخلوق، فإنه نقصٌ ظاهرٌ يدلُّ على السآمة والضجر وضيق النَّفْسِ.

---

[١] انظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٦٧)، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٢٤)، ومشكل الآثار للطحاوي (١/ ٢١٦).

[٢] انظر: شرح مشكل الآثار للطحاوي (١/ ٢١٦)، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٢٤).

[٣] شرح النووي لصحيح مسلم (٦/ ٣١٧)، المفهم (٢/ ٤١٣).

وقد نصَّ على ذلك القاضي أبو يعلى، والشيخ محمد بن إبراهيم، وإبراهيم الحربي المتوفى ببغداد سنة (٢٨٥) هجريًا[١].

ويكون معناها: أن اللهَ تعالى لا يملُّ من الثواب حتى تمَلُّوا من العمل، ولا يُوصَفُ اللهُ بهذه الصفة على وجه الإطلاق، وإنما بالقيدِ المذكور في الحديث، فهو لا يمَلُّ إلا إذا ملُّوا، كما أنه لا يخدَعُ إلا المخادعين، ولا يمكُرُ إلا بالماكرين، ولا يستهزئُ إلا بالمستهزئين، ولا يسخَرُ إلا بالساخرين، فهذه الصفاتُ لا يجوزُ أن يُوصَفَ الله بها على وجهِ الإطلاق.

والذي يظهر رجحانه- والعلم عند الله تعالى- القولُ الأول بأن الملَلَ ليسَ من صفاتِ الله تعالى، وأن المعنى: لا تنقطِعُ أجورُكم إلا إذا مللتم من العمل وتركتموه؛ وذلك لظاهِرِ النصوص وظاهر السِّياق، فكلُّها جاءت في النهي عن المشقة على النفس، وتحميلِها فوقَ طاقتِها، بدليلِ قولِه ﷺ: «**أيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا**

---

[١] إبطال التأويلات لإبي يعلى(٢/ ٣٧٠)، الفتاوى والرسائل للشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٢٠٩)، د/ سليمان الدبيجى (ص٢٢٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَمَلُّ، حَتَّى تَمَلُّوا، فإنَّه كانَ أَحَبُّ الصَّلاةِ إليهِ ما داوَمَ عَلَيْهَا، وإِنْ قلَّ»[١].

فبدأ الحديثُ بالحثِّ على الرِّفق بالنَّفْس في الأعمال، وختَمَه بالحثِّ على مداومةِ العمل؛ حتى يدومَ الأجرُ والثوابُ.

ودل على هذا المعنى قولُه ﷺ: «**أَحَبُّ العملِ إِلَى اللهِ مَا دَامَ عَلَيهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[٢].

وفي نُصحِه ﷺ للمرأةِ التي لا تنامُ الليلَ وتصليه كلَّه: «**مَهْ، عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»؛ أي: ارفُقُوا بأنفسِكم لتدومَ أعمالُكُم، ويدومَ جزاؤُكُم وثوابُكُم. والله تعالى أعلم.

---

[١] أخرجه أحمد (٢٤٩٦٧).

[٢] أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢١٤٩٠).

[٩] معنى صفةِ الهَرْوَلةِ الواردةِ في الحديث لله ربِّ العالمين:

نصُّ الأحاديث المثبتة لصفة الهرولة لله تعالى:

* عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[١].

* عن أنس ﷺ، عن النبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه ﷻ، قال: «**إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[٢].

* عن أبي ذرٍّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي**

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥).

[٢] أخرجه البخاري (٧٥٣٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». وفي رواية: «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، أَوْ أَزِيدُ»[١].

أقوال أهل العلم في معنى الهَرولة الواردة في الأحاديث:

اختلفت أفهامُ أهلِ العلمِ لصفةِ الهرولة الواردة في الأحاديث على قولين:

القول الأول: هو قولُ قتادةَ، والأعمش، وإسحاق بن راهَوَيْهِ، وابنِ قُتَيبة، وأبي يعلى، وشيخِ الإسلام ابن تيميَّة، والتِّرمِذي، وعامةِ أهل التأويل في شرح الحديث، كالحافظ ابن حجر، والنووي، وغيرِهم؛ وهو أن الهرولةَ في حقِّ الله تعالى إنما هي ضَرْبُ مَثَلٍ لكَرَمِ الله وجُودِه على عبدِه، وإحسانِه إليه، وشكرِه له على عملِه الصالح، فكلما تقرَّب العبدُ بالأعمال الصالحة تقرَّب اللهُ إليه بالثواب الجزيلِ ومضاعفةِ الأجور، فَمَثَّل القليلَ من الطاعة بالشِّبْرِ؛ أي: على قدر الشِّبرِ، والزيادةَ عليه بالذِّراعِ، وبذْلَ الجهدِ من الطاعة بالمشي، وقابل كلًّا منها بما هو أزيدُ وأقوى في الأجر والثواب؛ كرمًا منه وفضلًا سبحانه وتعالى[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٦٧٧).

[٢] شرح السنة للبغوي (٥/ ٢٦)، الأسماء والصفات البيهقي (٢/ ٢٨٤)، المفهم للقرطبي(٧/ ٨)، النهاية لابن الأثير (٥/ ٢١٦)، جامع الترمذي ـ عارضة الأحوزي (١٣/ ٨١)، مسائل الإمام =

واستدلوا على ذلك بالآتي:

١ـ دلالةُ السِّياق؛ فقوله سبحانه: «**مَنْ أَتَانِي يَمْشِي...**» من المعلوم أن المتقرِّبَ إلى اللهِ تعالى لا يتقرَّبُ بالمشي فقط؛ بل يكونُ تارةً بالمشي، كالسير إلى المساجد والجهاد والحجِّ ونحوها، وتارةً بغير المشي، كالصيام والصلاة والتلاوةِ ونحوها، فيكون المرادُ بالحديث مجازاةَ الله تعالى لعبدِه على عمله، كلٌّ على حَسَبِ العمل[١].

٢ـ أن الحديثَ جاء عند ابن حِبَّان بسندٍ صحيحٍ بلفظ: «**وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَإِنْ هَرْوَلَ سَعَيْتُ إِلَيْهِ، وَاللهُ أَوْسَعُ بِالمَغْفِرَةِ**»[٢].

وكذلك جاء عند الإمام أحمد بسندٍ صحيحٍ عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: «**وَإِنْ تَقَرَّبَ العَبْدُ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا جَاءَنِي يَمْشِي جِئْتُهُ أُهَرْوِلُ، لَهُ المَنُّ وَالفَضْلُ**»[١].

=

أحمد رواية حزب الكرماني (٣٤٥)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥١٣)، شرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ٦)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٥١٠).

[١] انظر: بيان تلبيس الجهمية/ القسم السادس لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٥٢).

[٢] أخرجه ابن حبان (٣٧٦)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقولُ النبيِّ ﷺ: «**اللهُ أَوْسَعُ بِالْمَغْفِرَةِ**»، وقولُه: «**لَهُ المَنُّ وَالفَضْلُ**»: دلَّا على أن معنى الهرولةِ سَعةُ الرحمةِ والمَنِّ والفضلِ والعطاءِ مِن اللهِ لعبده؛ تكرمًا منه وفضلًا.

القول الثاني: وهو ظاهرُ كلامِ الإمام أبي إسماعيل الهرويِّ، وأبي موسى المَديني، وهو قولُ الشيخ محمد الصالح بن العثيمين، وبه قالت اللجنةُ الدائمةُ للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة السعودية، وكانت مكونةً من الشيخ عبد العزيز بن باز، وعبد الرازق عفيفي، وعبد الله بن غديان، وعبد الله بن قعود.

وهو أن الهرولةَ صفةٌ فعليةٌ خبريةٌ ثابتةٌ لله تعالى على ما يليقُ بجلالِه وكمالِه من غير تأويلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تعطيل، وعلينا الإيمانُ بها كالإيمان بباقي الصفات الثابتة لله تعالى.

وحجةُ أصحابِ هذا القول هي أن ظاهرَ الحديث يدلُّ على إثبات هذه الصفة لله تعالى على ما يليقُ بجلالِه وكمالِه، {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) أخرجه أحمد(١٠٢٣٥).

ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾} [الشورى:١١][1].

والقولُ الذي يظهر رجحانُه والعلمُ عند الله تعالى- هو القولُ الأولُ؛ أن المقصودَ من الهرولةِ مجازاةُ العبدِ وإثابتُه على قدرِ أعمالِه؛ وذلك لظاهر سياق الحديث.

وذلك لأن الواجبَ في نصوص الكتاب والسُّنة إجراؤُها على ظاهرِها دونَ التعرُّضِ لها بتحريفٍ أو تعطيلٍ، لا سيَّما نصوصُ الصفات، لأنه لا مجالَ للرأيِ فيها، والمرادُ بظاهرِ النصوص ما يتبادَرُ إلى الذهنِ من المعاني، وهو يختلفُ باختلاف السِّياق وما يُضافُ إليه الكلام، فالكلمةُ الواحدةُ يكون لها معنًى في سياقٍ ومعنًى آخَرُ في سياقٍ آخَرَ، فكلُّ لفظٍ موجودٌ في الكتاب والسُّنة فإنه مُقيَّدٌ بما يُبيِّنُ معناه[2].

فالسِّياق يُرشِدُ إلى تبيينِ المُجمَلِ، وتعيين المحتمِل، والقطعِ بعدم احتمالِ غير المراد، وتخصيصِ العامِّ، وتقييدِ المطلق، وتنوُّع الدلالة، وهذا من أعظمِ

---

[1] انظر: الأربعين في دلائل التوحيد، للهروي (ص٧٩)، والمجموع المغيث، لأبي موسى المديني (٣/ ٤٩٦)، وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٩٦)، والقواعد المثلى، لابن عثيمين (ص٧٠-٧٢).

[2] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ١٠٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرائن على مراد المتكلِّم، فمَن أهمله غلِطَ في نظره، وغالَطَ في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾} [الدخان:٤٩]، كيف تجِدُ سياقَه يدلُّ على أنه الذليل الحقيرُ[١].

وبناءً على ما سبق فإن لفظَ الهرولةِ وإن كان معناه الإسراعَ في المشي؛ ولكن السياقَ هنا يبيِّنُ أن المرادَ هو المجازاةُ والإثابةُ مِنَ اللهِ للعبد على قدر عملِه.

فذِكرُ الشِّبرِ والذراعِ والباعِ في الحديث لا يُرادُ به حقيقةُ الشِّبْر والذراع والباعِ؛ وإنما يُرادُ به قدرُهُم.

ونظيرُ ذلك ما ورد في قول النبي ﷺ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[٢]، وليس المرادُ بالشِّبر هنا مساحتَه، وإنما معناه: معصيةُ السلطان، ومفارقتُه، والخروجُ عليه، وإثارةُ الناس عليه ونحو ذلك، فذُكِرَ الشبرُ هنا للتمثيل والتقريب[٣].

---

[١] بدائع الفوائد لابن القيم (٤/ ٢٢٢).

[٢] أخرجه البخاري (٦٦٤٥)، ومسلم (١٨٤٩).

[٣] فتح الباري (١٣/ ٧٠٦).

وكذلك ما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»[1]؛ فليس المرادُ جنسَ القعودِ والقيامِ ونحوه؛ وإنما المرادُ التنبيهُ على خطورةِ المشاركة في الفتن والدخولِ فيها، والحرصُ على الهروب منها والنجاةِ من شرها[2].

وهذا الذي رجَّحناه عملٌ بظاهر الحديث، وليس تأويلًا للحديث، كما يفعلُ المؤولةُ في أحاديث الصفات.

---

[1] أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

[2] فتح الباري (١٦٣/ ٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[١٠] هل الأسماءُ الحسنى محصورةٌ في تسعةٍ وتسعين؟

جماهيرُ أهل العلم من السَّلَفِ والخَلَفِ على أنَّ أسماءَ الله الحسنى لا يُحصِيها إلا اللهُ، وليست محصورةً بعددٍ.

وقد خالف في ذلك ابنُ حزم- عفا الله عنا وعنه- فقال: إنها تسعةٌ وتسعون، ومَن زاد عليها فقد ألحَدَ في أسمائه، وتمسَّك بلفظِ: «**مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا**»، ثم قال: «ومن أجاز هذا- أي: الزيادةَ على التسعة والتسعين- فهو كافرٌ»[(١)]!

وهذا من عجائب ابن حزمٍ، وله عجائبُ كثيرةٌ!

وقد احتج جماهيرُ العلماء على أن الأسماءَ الحسنى غيرُ محصورةٍ بعددٍ من الأدلة، ومنها:

١- عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٢)]؛ أي: أن الله تعالى له أسماءٌ كثيرةٌ جدًّا، فمَن أحصى منها تسعةً وتسعين دخل الجنَّةَ، والدليلُ على هذا المعنى الذي فهمه السلفُ الصالح هو الحديث الثاني.

---

(١) المحلى لابن حزم (١/ ٥٠)، الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١/ ٤٢٤)، الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم (٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٥-٦٩٥٧)، ومسلم (٢٦٧٧).

٢ـ عن ابن مسعود ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**»[1].

دل حديث ابنِ مسعود على أن اللهَ تعالى له أسماءٌ كثيرة سمَّى بها نفسَه، منها ما أنزله في كتابه وسنةِ رسولِه ﷺ، ومنها ما علَّمه بعضَ خلقِه من الملائكة والنبيين، واختصهم بها، ومنها ما استأثر بها عنده، فلا يعلَمُها إلا هو.

إضافةً إلى ذلك: مَن نظر في نصوصِ الكتاب والسُّنة سيرى أن أسماءَ الله تزيد عن المئة، فمن ذلك حديثُ عائشة ﵂، قالت: فقدت رسولَ اللهِ ﷺ ليلةً من الفراش فالتمستُه، فوقعتْ يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما

---

[1] أخرجه أحمد (٣٧١٢) وصححه محققو المسند والألباني وأحمد شاكر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منصوبتان وهو يقول: «**اللهُمَّ أعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَمَا أثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[١].

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن أسماءَ الله لا يُحصيها إلا اللهُ، فالنبيُّ ﷺ لا يُحصي ثناءً على ربِّه، ولو أحصى جميعَ أسمائه لأحصى جميعَ صفاتِه كلِّها، وقد قال: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَمَا أثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[٢].

٤ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الشفاعة، وفيه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّناءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأحَدٍ قَبْلِي**»[٣].

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن النبيَّ ﷺ إنما يحمَدُ ربَّه ويُثني عليه بأسمائه وصفاته، وقد اختصَّه اللهُ في هذا المقام بقدرٍ زائدٍ على ما هو معلوم منها، بدليل قوله: «**لَمْ يَفْتَحْهُ لِأحَدٍ قَبْلِي**»، وهذا يدلُّ على أن أسماءَ الله غيرُ محصورةٍ في التسعة والتسعين.

---

[١] أخرجه مسلم (٤٨٦).

[٢] درء التعارض لابن تيمية (٣/ ٣٣٢).

[٣] أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (١٩٤).

أما ابنُ حزمٍ- عفا الله عنه- فليس له حجةٌ إلا ظاهريتُه الجامدة والمعروفة عنه في بعض المسائل، وأن القولَ بحصر الأسماء الحسنى في تسعة وتسعين فقط لا نعلم أن أحدًا قاله غيرُ ابن حزمٍ، فليس له سلفٌ في ذلك.

وقد جمعها الإمام أبو بكرِ بنُ العربيِّ، فأحصى منها مئةً وستةً وأربعين اسمًا[١]، وجمعها ابنُ الوزير، فأحصى منها مئةً وخمسةً وخمسين اسمًا[٢].

معنى قولِه في الحديث: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»:

أي: علِمَها، وحفِظَها، وعرَفَ معانيَها، وآمَنَ بها، وعمِلَ بمقتضاها، ودعا اللهَ بها، وعبَدَ اللهَ بها، وكان لها عظيمُ الأثر في نفسِه، في إصلاحِ قلبِه وجوارحِه وعمله، فمن فعل ذلك دخل الجنَّةَ.

وذلك لأن العلمَ بأسماء الله تعالى وصفاتِه هو أجلُّ العلومِ؛ لأنه علمٌ متعلِّقٌ بأجلِّ معلومٍ، وهو اللهُ سبحانه وتعالى، وعلى قدر علم العبد بربه على قدر تعظيمه له وخشيته وتقواه، قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر:٢٨].

---

[١] انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٢٧٧).

[٢] انظر: إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير (ص١٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالعلماء بالله هم أشدُّ الناس خشيةً له سبحانه؛ لأنهم أعلمُ الناس به، قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩} [الزمر: ٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «**وَاللهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ ﷻ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»[1]؛ لأنه ﷺ أعلَمُنا باللهِ وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وأقداره... إلى آخره.

[1] أخرجه أحمد (٢٤٩١٢).

[١١] هل الرَّحِمُ جزءٌ من الرحمن، وهل الحَقْو صفةٌ لله تعالى؟

* عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فقالَ اللهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ**»[١].

* عن عائشةَ رضي اللهُ عنها، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»[٢].

* عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ**». قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾} [محمد:٢٢][٣]. **وفي رواية:** قال رسولُ اللهِ ﷺ: واقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ}[٤].

معني: «الشِّجْنَة»: بكسر الشين وضمِّها وفتحها؛ وهي أصولُ الشجر المشتبكة، والشواجن: الأوديةُ الكثيرةُ الشجرِ، وقولهم: حديثٌ ذو شُجونٍ؛ أي: ذو فُنونٍ وشُعَبٍ وارتباط بعضِه ببعض.

---

[١] أخرجه البخاري (٥٩٨٨).

[٢] أخرجه مسلم (٢٥٥٥).

[٣] أخرجه البخاري (٤٥٥٢).

[٤] أخرجه البخاري (٤٨٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمعنى المرادُ: لها تعلُّقٌ وتقرُّبٌ من الرحمنِ سبحانه[١].

ويؤيِّدُ هذا المعنى حديثُ عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي اسْمًا، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُه، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**»[٢].

فالرَّحِمُ اشتُقَّ اسمُها من اسم الله الرحمن، فلها به عُلقةٌ، وليس معناه أنها من ذات الله، تعالى اللهُ عن ذلك علوًّا كبيرًا، فليست جزءًا منه ولا بعضًا منه؛ بل هي مخلوقةٌ من مخلوقاتِ الله، وصفاتُ الله غيرُ مخلوقةٍ، فاللهُ تعالى بأسمائه وصفاته هو الخالقُ سبحانه.

و«مِن» في الحديث ليست للتبعيض، وإنما هي لابتداءِ الغايةِ، كما في قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ...} [الجاثية:١٣]، وكما في قوله عن المسيح ابن مريم: {إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ...} [النساء:١٧١] ؛ أي: مِن خلقِه ومِن عنده.

فالرَّحِمُ من الله خلقًا وإيجادًا، لا صفةً ونعتًا.

---

[١] انظر: بيان تلبيس الجهمية القسم السادس لابن تيمية (١/ ٢٥٠).

[٢] أخرجه أحمد (١٦٨٠).

[١٢] معنى الحَقْو، وهل هو صفة لله تعالى؟

في الحديث السابق قول النبيِّ ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ...**».

والحَقْو: هو معقِدُ الإزار من الجَنْب؛ أي: الخَصْر، ومَشدُّ الإزار[١].

فهذا الحديثُ أثبت لله تعالى صفةَ الحَقْو على ما يليقُ بجلالِه وكمالِه مع نفي المماثلة للمخلوقين: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾} [الشورى:١١]؛ وهذا قولُ الإمام أحمدَ، وشيخِ الإسلام ابن تيمية، وأبي يعلى المَوصليِّ، وأبي موسى المَدينيِّ، وصديق حسن خان، وغيرهم[٢].

قال الإمام أحمد: يُمضَى الحديثُ كما جاء.

وقال ابن حامد: ومما يجبُ التصديقُ به أن لله حَقْوًا.

ومثله حديث الحُجْزة التي هي أيضًا في اللغة بمعنى موضِعِ شدِّ الإزار:

---

[١] الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣١٧)، النهاية لابن الأثير (١/ ٤١٧)، مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٨٨).

[٢] انظر: بيان تلبيس الجهمية القسم السادس (١/ ٢٤٧-٢٤٩)، وإبطال التأويلات (٢/ ٤٢١).

فعن ابن عباس ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ آخِذَةٌ بِحُجْزَةِ الرَّحْمَنِ، يَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا، وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا**»[١].

قال الخطابيُّ: معنى «أن الرَّحِمَ تأخُذُ بحَقْوِ الرحمنِ وتقول...» معناه: اللِّياذُ والاعتصامُ. أي: تلوذُ بجَنابِ الرحمنِ وتستجيرُ به.

وهذا قولُ عامةِ أهلِ التأويلِ من أهل الكلام وغيرهم[٢].

وهو معنًى صحيحٌ، ولا ينافي إثباتَ صفةِ الحَقْو للرحمنِ سبحانه على ما يليقُ بجلاله، قال أبو يعلى: معناه أنها مستجيرةٌ مُعتصِمةٌ بالله، فلا يمنَعُ من هذا، لكن صفة الاستجارةِ والاعتصامِ على ما ورد به الخبَرُ، مِن الأخذ بحَقْوِ الرحمن جلَّ اسمُه[٣].

---

[١] أخرجه أحمد (٢٦٥٦)، وحسنه الألباني، وصححه الشيخ شاكر.

[٢] انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٢٣)، والأسنى للقرطبي (٢/ ١١٨)، ومشكل لابن فَورك (ص٣٢٢).

[٣] إبطال التأويلات لأبي يعلى (٢/ ٤٢٦).

[١٣] معنى صفة الصبر في حقِّ الله تعالى:

عن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»[١].

قال أهل السُّنة: المراد بصَبْرِ اللهِ تعالى أنَّه لا يعاجِلُ العُصاةَ بالعقوبة؛ بل يُعافيهم، ويَرزُقُهم، ويُحسِنُ إليهم، ويُمهِلُهم، قال ابن القيِّم ﷺ في «نونيته»:

وَهْوَ الصَّبُورُ عَلَى أَذَى أَعْدَائِهِ * شَتَمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ

قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا * شَتْمًا وَتَكْذِيبًا مِنَ الإِنْسَانِ

هَذَا وَذَاكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ * لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانِ

لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ * يُؤْذُونَهُ بِالشِّرْكِ وَالكُفْرَانِ

فصبرُ الله ليس كصبر المخلوقين، فلا يماثِلُه شيءٌ من الصبر؛ لأنه صبرٌ من الله ذي القوةِ الكاملةِ والقدرةِ والبطشِ والحِلمِ.

---

[١] أخرجه البخاري (٥٣٤٨-٦٩٤٣)، ومسلم (٢٨٠٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلا يلحَقُه بصبره شيءٌ من الألم ولا الحُزن، ولا يلحَقُه نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، بخلاف صبر المخلوق [١].

فاللهُ ﷻ هو الحليمُ الصبورُ الذي يُمْهِل ولا يُهمِلُ، ولا يعاجِلُ بالعقوبة؛ لعل خلقَه يتوبون إليه، فيعفُوَ عنهم، ويغفِرَ لهم.

والصبرُ ثمرةُ الحِلم؛ ولذلك كان الحلِمُ في صفاتِ الله تعالى أوسَعَ من الصبر، فالحلمُ صفةٌ ذاتيةٌ لله لا تزول، وأما صبرُه سبحانه فمتعلِّقٌ بكفر العباد وشركهم وفسقهم، فإذا زال متعلَّقُه كان كسائر الأفعال التي توجَدُ لحكمةٍ، وتزول بزوالها.

وأما أذيَّةُ الله تعالى الواردة في الحديث: فقد جاء تفسيرُها في آخرِه، وذلك بنسبةِ الولدِ له سبحانه مع أنه اللهُ الواحدُ الأحدُ الفرد الصَّمَد، الذي لم يلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ.

---

[١] انظر: عدة الصابرين لابن القيم (ص٤٢٠-٤٢٢).

وقد بيَّن اللهُ تعالى في كتابه مدى شناعةِ هذا القول، فقال سبحانه: {وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١} [مريم ٨٨-٩١].

ومثلُ هذا الحديث ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»[(١)].

وعن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**»[(٢)].

ولا يلزمُ من وقوع الأذية حصولُ الضَّرَر، فاللهُ سبحانه يُؤذيه ما يُقالُ فيه من قبيحِ الكلام، وما يُقابَل به من سيِّئِ الأفعال؛ لكنه لا يتضرَّرُ بذلك؛ ولذا أثبت الله تعالى الأذى في كتابه، ونفى الضررَ، فقال: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧} [الأحزاب:٥٧]، وقال: {وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ...} [آل عمران:١٧٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٩١)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن أبي ذرٍّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه ﷻ: «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي**»[١].

وحصولُ الأذية في حقِّ الله تعالى لا تحصُلُ إلا بمشيئته وإرادته حسَبَ ما تقتضيه حكمتُه، فلا يقعُ في مُلكِه إلا ما يشاءُ، ولا مُكرِهَ له سبحانه[٢].

لكن هل الصبورُ من أسماء الله تعالى؟

ذهب بعضُ أهل العلم كالإمام ابن القيم، وابن حجر، والبيهقي، وابنِ منده، وأبي القاسم الأصبهاني قِوام السُّنةِ، والشيخ ناصر السعدي وغيرِهم إلى: أن الصبورَ من أسماء الله تعالى، معتمدين على هذا الحديث، وعلى ما ورد في «سنن الترمذي» من سرد الأسماء الحسنى، وورود اسم الصبور ضمنَها، علمًا بأنها مُدرَجةٌ من بعض الرُّواة باجتهادِه في جمع الأسماء، وليست مرفوعةً للنبيِّ ﷺ[٣].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

[٢] الدبيجي (ص٢٥٠)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٣٦٠-٣٦١).

[٣] انظر: عدة الصابرين لابن القيم (ص٤٢٠)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٦١)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٤٨)، والتوحيد لابن منده (٢/ ١٤٢)، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني (٢/ ٤٨٩).

[١٤] حديث «خلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، وإزالة الإشكال الوارد فيه:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ المَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ**»[١].

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[٢].

وجه الإشكال: هل الضميرُ في قوله: «**عَلَى صُورَتِهِ**» عائدٌ على الله تعالى، فيكون المعنى: صورةُ آدَمَ على صورةِ الله تعالى، أم أن الضميرَ عائدٌ على آدمَ، فيكون المعنى: خلق اللهُ آدمَ على صورته التي خلَقَه عليها؟

الجواب: اختلفت أفهامُ أهلِ العلم في ذلك على أقوال:

---

[١] أخرجه البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٨٤١).

[٢] أخرجه مسلم (٢٦١٢).

الأول: أن الضميرَ عائدٌ على غير الله تعالى.

أ- ففي حديث أبى هريرة: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» يعود الضميرُ على الرجل المضروب كما ورد في سبب ورود الحديث[١]؛ وذلك لأن الضاربَ إذا ضرب وجهَ أخيه المسلِمِ ضرب وجهًا خلق اللهُ آدَمَ على صورته[٢].

وممَّا يبيِّنُ هذا المعنى ما ورد من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ، وَلَا يَقُلْ: قَبَّحَ اللهُ وَجْهَكَ، وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[٣]؛ أي: على صورةِ المضروب.

ب - وفي حديث: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**» بدلالة قولِه في الحديث: «**طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**» فالضميرُ راجعٌ لآدمَ باتفاقٍ.

وممَّن قال بهذا القول: الإمام ابنُ خُزَيمة، والخطابيُّ، وأبو ثورٍ، والبيهقيُّ، وابن منده، والقرطبي، والقاضي عياض، وغيرُهم[١].

---

[١] الفتح (٥/ ١٨٣)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٤٠٣)، والمفهم (٦/ ٥٩٧).

[٢] صحيح بن حبان (١٢/ ٤٢٠-٤٢١)، والتوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٢٣).

[٣] أخرجه أحمد (٧٤٣٠-٩٦٠٤)، وصححه الألباني وأحمد شاكر.

الثاني: أن الضميرَ في قوله: «**عَلَى صُورَتِهِ**» عائدٌ إلى الله تعالى، وأنَّ إضافةَ الصورةِ إلى الله من بابِ إضافةِ الصفة إلى الموصوف، وهذا قولُ جمهور أهل السُّنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الحديثُ لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاعٌ في أن الضميرَ عائدٌ إلى الله، فإنه مستفيضٌ من طرقٍ متعددة عن عدد من الصحابة، وسياقُ الأحاديث كلِّها يدلُّ على ذلك [٢].

وهذا قولُ الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهَوَيْهِ، فعن إسحاقَ الكَوْسَج قال: قلت لأحمد: لا تُقبِّحوا الوجهَ؛ فإن اللهَ خلَقَ آدمَ على صورتِه، أليس تقولُ بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح.

وقال ابنُ راهَوَيْهِ: صحيحٌ، ولا يدَعُه إلا مبتدعٌ أو ضعيفُ الرأي[٣].

---

[١] انظر: الفتح (١١/ ٣)، وشرح النووي (١٦/ ٤٠٣)، والتوحيد لابن منده (١/ ٢٢٣)، والتوحيد لابن خزيمة (١/ ٩٤)، والمفهم للقرطبي(٧/ ١٨٣)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٦١).

[٢] بيان تلبيس الجهمية. تحقيق د/ عبد الرحمن الدبيجي (٢/ ٣٩٦)، أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين. د/ سليمان الدبيجي (٢٥/ ١٢٢).

[٣] الشريعة للآجري (٣/ ١١٢٧)، والإبانة لابن بطة العكبري (٢٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسُئِل الإمامُ أحمد فقيل له: يا أبا عبد الله، الحديثُ الذي رُوِي عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ على صُورتِه**» على صورةِ آدمَ؟

فقال: أين الذي يَروي عن النبيِّ ﷺ أن اللهَ خلَقَ آدمَ على صورةِ الرحمن؟ وأيُّ صورةٍ كانت لآدَمَ قبل أن يُخلَقَ؟

بل صرَّح الإمام أحمد بأن القولَ بإعادة الضمير على آدمَ أو على الرجل المضروبِ هو قولُ الجهميَّة، فقال: «من قال: «إن اللهَ خلَقَ آدَمَ على صورةِ آدمَ» فهو جَهميٌّ، وأيُّ صورةٍ لآدمَ قبل أن يَخلُقَه؟» [١].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: قال رجلٌ لأبي: إن فلانًا يقول في حديث النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»؛ أي: على صورة الرجل؟ قال أبي: كذَبَ هذا، هذا قولُ الجَهميَّة، وأيُّ فائدةٍ في هذا[٢]؟

---

[١] الإبانة لابن بطة (ص٢٦٦)رقم (١٩٨).

[٢] إبطال التأويلات (١/ ٨٨).

وقال الآجري في «الشريعة»: باب: الإيمان بأن اللهَ خلَقَ آدمَ على صورته بلا كيف[١]. ثم ساق الحديثَ بطُرُقِه، ثم قال: هذه من السُّنَن التي يجبُ على المسلمين الإيمانُ بها، ولا يقال فيها كيف؟ ولِمَ؟ بل تُستقبَلُ بالتسليم والتصديق وترك النظر[٢].

وبه قال ابن قُتَيبة، وأبو يعلى الفراء، أبو إسماعيل الهروي، وقِوامُ السُّنَّة إسماعيل الأصبهاني، والشيخ ابن باز، وابن عثيمين، رحم اللهُ الجميعَ[٣].

واحتجوا لذلك بأن الأصلَ حملُ اللفظ على ظاهره، وذلك بإرجاع الضمير إلى الله تعالى، وبحديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لَا تُقَبِّحُوا الوَجْهَ؛ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**»، فقالوا هذا نصٌّ صحيحٌ صريحٌ غيرُ قابل للتأويل[٤].

---

[١] انظر: الشريعة (٣/ ١١٤٧).

[٢] انظر: الشريعة (٣/ ١١٥٣).

[٣] تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٢٠٦)، والأربعين في دلائل التوحيد للصابوني الهروي (ص٦٣)، والدرر السنية (٣/ ٢٦٠-٢٦٤)، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٦/ ٣٥٣)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ١٠٨-١١٠).

[٤] عقيدة أهل إيمان (ص٤٠). د/ الدبيجي (ص١٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا الحديثُ صحَّحه الإمام إسحاقُ بن راهويه والإمام أحمد بن حنبل، والحاكم وابن تيمية، والذهبي، وابن حجر [١]، والشيخ حماد الأنصاري.

وأخرج ابنُ أبي عاصمٍ في «السنة» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ وَجْهِهِ**»[٢].

الثالث: أن الضميرَ في قولِه: «**عَلَى صُورَتِهِ**» يعودُ على الله تعالى، وتكون إضافةُ الصورةِ إلى الله من بابِ إضافة المخلوق إلى خالقه، كما في قوله تعالى: {نَاقَةَ ٱللَّهِ...﴿١٣﴾} [الشمس:١٣]، وكما يقال في الكعبة: بيت الله...، هكذا، فكما أن الخلقَ مضافٌ الى الخالق؛ لأنه هو الذي خلَقَه، كذلك الصورةُ تُضافُ إلى الرحمن؛ لأنه هو الذي صوَّرها، قال تعالى: {هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ... ﴿١١﴾} [لقمان:١١].

وبهذا القول جزم الإمامُ ابن خُزَيمة رحمه الله [٣].

---

[١] فتح الباري (٥/ ١٨٣)، وميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٩٦).

[٢] أخرجه بن أبي عاصم في السنة (٥٢١) بسند صحيح، وانظر ظلال الجنة للألباني.

[٣] التوحيد لابن خزيمة (١/ ٨٧-٩١)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٤٠٣).

الرابع: إنكارُ حديث: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»، والنهيُ عن التحدث به، وهذا مرويٌّ عن الإمام مالكٍ كما ذكره ابنُ عبد البر في «التمهيد»، فقد روى العُقَيلي في «الضعفاء الكبير» بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم، أنه سأل الإمامَ مالكًا عمَّن يُحدِّثُ بهذا الحديث الذي قالوا: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»؟ فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، ونهى أن يُحدِّثَ به أحدٌ، فقيل له: إن ناسًا من أهل العلم يتحدَّثون به. قال: مَن هم؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزِّناد. فقال: لم يكن يعرِفُ أين هذه الأشياء، ولم يكن عالمًا بها، ولم يزل أبو الزِّناد عاملًا لهؤلاء حتى مات، وكان صاحبَ عمالٍ يتبعهم[١].

وقد اعتُذِر عن الإمام مالكٍ في ذلك أنه نهى عن التحديث بهذا الحديث خشية أن يقَعَ بعضُ الجُهَّال في تشبيه الله تعالى بخلقه، فهو من بابِ سدِّ الذريعة، كما روى مسلمٌ في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود، قال: ما أنت بمُحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلُغُه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنةً[٢].

---

[١] التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٥٠)، والضعفاء الكبير للعقيلي (٢/ ٢٥١-٢٥٢)، والميزان للذهبي (٤/ ٩٥).

[٢] التمهيد (٧/ ١٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن عبد البر: إنما كره مالك ذلك، خشيةَ الخوضِ في التشبيه بكيف ههنا[١].

وأما أبو الزِّناد وابن عجلان فهما ثقتان عدلان، من أفاضل علماء الأمة.

وقد اعتذر الإمامُ الذهبيُّ عن الإمام مالكٍ هنا بأن هذا الحديثَ لم يبلُغْ مالكًا، ولم يثبُتْ عنده، فلذلك أنكره ونهى عن التحدُّثِ به[٢].

الخلاصة والترجيح:

الذي يظهر رجحانُه بعد عرض وبيان أفهام أهل العلم لهذا الحديث: أن الصورةَ ثابتةٌ لله تعالى على ما يليقُ بجلاله وعظمته، والحديثُ صحيحٌ لا مطعنَ فيه؛ بل ومتفقٌ عليه، والضميرُ في قوله: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» عائدٌ على الله تعالى، وإضافةُ الصورةِ إلى الله سبحانه من إضافةِ الصفةِ إلى الموصوفِ كما هو مقتضى ظاهرِ لفظِ الحديث.

وأهل السُّنة والجماعة يؤمنون بما صحَّ من أحاديث الصفات كلِّها،

---

[١] صحيح مسلم (المقدمة).

[٢] انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٩٥-٩٦).

ويُجرُونها على ظاهرها على ما يليقُ بالله تعالى وعظمتِه، مع نفي المماثلة والتعطيل؛ لقوله سبحانه: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١} [الشورى:١١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية»:

«هذا الحديثُ لم يكن بين السلفِ من القرون الثلاثة نزاعٌ في أن الضميرَ عائدٌ إلى الله تعالى، فإنه مستفيضٌ من طرقٍ متعددةٍ عن عددٍ من الصحابة، وسياقُ الأحاديث كلِّها يدلُّ على ذلك؛ ولكن لما انتشرت الجهميةُ في المئة الثالثة جعل طائفةٌ الضميرَ فيه عائدًا إلى غير الله تعالى، حتى نُقِل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسُّنة في عامة أمورهم، كأبي ثورٍ، وابن خُزَيمةَ، وأبي الشيخ الأصبهاني، وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمةُ الدين وغيرهم من علماء السنة».

وإثباتُ صفةِ الصورة لله تعالى كإثباتِ صفةِ اليدينِ والسمعِ والبصرِ وغير ذلك.

ممَّا يؤيدُ ذلك ويدلُّ عليه ورودُ عدةِ أحاديثَ صحيحةٍ في إثباتِ الصورةِ لله ربِّ العالمين، منها:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* حديث أبي سعيد ﷺ، أنَّ ناسًا سألوا رسولَ الله ﷺ وقالوا: يا رسولَ الله، هل نرى ربَّنا يومَ القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟»: قَالُوا: لا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ فَيُدْعَى اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا:

فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا»[١].

وفي الحديث الآخر: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ ﷻ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللهُ ﷻ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ...**»[٢].

قال القاضي أبو يعلى الفَرَّاء: اعلم أن هذا الخبرَ يدلُّ على إثبات الصورة، وعلى صفة الإتيان...، وأنه غيرُ ممتنعٍ جوازُ إطلاقِ الصورةِ لا كالصور»[٣].

* حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ، عن النبي ﷺ: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا...**»[٤].

---

[١] أخرجه البخاري (٤٥٨١).

[٢] أخرجه البخاري (٦٢٤٠ـ ٧٠٠٠)، ومسلم (١٨٢).

[٣] إبطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ١٥١).

[٤] أخرجه البخاري (٤٣٠٥)، ومسلم (١٨٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* حديث معاذٍ المعروف بحديث المنام الذي رأى فيه النبيُّ ﷺ ربَّه في الرؤية في أحسن صورةٍ، فعن معاذ بن جبل ﷺ، قال: احتبس عنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ في صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى قرنَ الشمس، فخرج سريعًا فثُوِّب بالصلاة، فصلَّى رسولُ الله ﷺ، وتجوَّز في صلاته، فلما سلَّم دعا بصوته، فقال لنا: «**كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ**»، ثم انفتل إلينا ثم قال: « **إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الغَدَاةَ إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى...**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فقوله: «**فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**»: صريحٌ في أن الذي كان في أحسن صورةٍ هو ربُّه» [(٢)].

وقد نقل القاضي عياضٌ اتفاقَ العلماء على جواز رؤيةِ اللهِ في المنام وصحتها [(١)].

[(١)] أخرجه أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٨٨)، وابن خزيمة في التوحيد (٣٢٠)، وصححه البخاري والترمذي وابن تيمية وابن رجب.

[(٢)] بيان تلبيس الجهمية القسم السابع (١/ ٤٠٢).

وقال الإمام أبو سعيدٍ الدارميُّ في «النقض على المريسي»: «وفي المنام يمكنُ رؤيةُ الله تعالى على كل حالٍ، وفي كل صورةٍ»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ورؤيةُ اللهِ تعالى في المنام جائزةٌ بلا نزاعٍ بين أهل الإثبات، وإنما أنكرها طائفةٌ من الجهمية» [٣].

وقال ﵀: «وقد يرى المؤمنُ ربَّه في المنام في صُوَرٍ متنوِّعةٍ على قدر إيمانه ويقينِه، فإذا كان إيمانُه صحيحًا لم يرَهُ إلا في صورةٍ حسنةٍ، وإذا كان في إيمانِه نقصٌ رأى ما يشبِهُ إيمانَه، ورؤيا المنام لها حكمٌ غيرُ رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبيرٌ وتأويلٌ؛ لِما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق»[٤].

وأما معنى حديث «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»: فهو كما قال بعضُ أهل العلم: «بيانُ أن آدَمَ خُلِقَ ذا وجهٍ متصِفًا بصفة السمع والبصر والكلام، كما أنَّ اللهَ

---

[١] إكمال المعلم (٧/ ٢٢٠)، فتح الباري (٢/ ٣٨٧)، شرح النووي لصحيح مسلم (٥١/ ٣١).

[٢] النقض على المريسي (٢/ ٧٣٨).

[٣] بيان تلبيس الجهمية ـ القسم السابع (١/ ٤٠٢).

[٤] مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالى كذلك، فآدمُ مخلوقٌ على صورةِ الله في هذه الحيثيةِ، ولا يلزم من ذلك المماثلةُ»[١].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ: «والمعنى- والله أعلم- أنه خلَقَ آدمَ على صورتِه ذا وجهٍ وسمعٍ وبصرٍ، يسمعُ ويتكلمُ ويُبصِرُ، ويفعل ما يشاء، ولا يلزَمُ أن يكونَ الوجهُ كالوجهِ، والسمعُ كالسمعِ، والبصرُ كالبصرِ...، وهكذا لا يلزم أن تكونَ الصورةُ كالصورة»[٢].

وهذا المعنى هو ما قرَّره شيخُ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم والعلامة ابن باز، والعلامة ابن عثيمين رحمهم الله جميعًا[٣].

---

[١] الدبيجي (ص١٤٩).

[٢] مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٦/ ٣٥٣-٣٥٤).

[٣] مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٦/ ٣٥٣- ٣٥٤)، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٥١٥)، وبيان تلبيس الجهمية القسم السادس (٢/ ٥٣٧-٥٣٨)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ١٠٨-١٠٩).

صورةُ ربِّ العالمين في القيامة التي يعرِفُه بها المؤمنون:

حديث أبي هريرة ﷺ، أن ناسًا سألوا رسولَ الله ﷺ وقالوا: يا رسولَ الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ...، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَبِهِ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ،**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا»[1].

وفي رواية: «فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ

[1] أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ...»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«أما هذا الخبرُ في الجملة فهو متواترٌ عند أهل العلم بالحديث...»[٢].

وقال عند الحديث الأول: هو من أصحِّ حديثٍ على وجه الأرض[٣].

وقال عن الحديثين: هذان الحديثان من أصح الأحاديث[٤].

من فوائد هذا الحديث:

١ـ إثباتُ الصورة لله ربِّ العالمين على ما يليقُ بجلاله وجماله وكماله.

---

[١] أخرجه مسلم (١٨٣).

[٢] تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ٧٣).

[٣] مجموع الفتاوى (٦/ ٤٣٩).

[٤] مجموع الفتاوى (٦/ ٤٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢ـ أن اللهَ تعالى أتاهم ثلاثَ مراتٍ في صُوَرٍ متغيِّرةٍ؛ بدليل قوله: «**فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**»، وهذه الصورُ الثلاثة كالآتي:

أـ الأولى: التي عرَفوه فيها؛ لقوله: «**الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**».

ب- الثانية: في صورة غيرِ صورتِه الأولى التي يعرفون، دلَّ على أنهم رأوه رؤيةً متقدمةً قبل هذه المرة؛ لقوله: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**».

وفي الرواية الأخرى: «**أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا**»، وقد فعل ذلك امتحانًا لهم، فلما أنكروه عرَّفَهم نفسَه بالآية التي يعرفون؛ وهي الساقُ، فإنه لما كشَفَه خرُّوا له سُجَّدًا.

جـ- الثالثة: وهي التي تحوَّل فيها في المرة الثالثة للصورةِ التي يعرفونه بها من أول مرةٍ: «**فَيَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**»، وهي المرةُ المرادةُ في حديث أبي هريرة: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ...**».

٣ـ ما تأوله الإمام أبو سعيدٍ الدارميُّ ﵀ في تحوُّلِ الصورةِ لله تعالى من موقفٍ لآخَرَ؛ حيث قال: من غير أن يتحوَّلَ من صورةٍ إلى صورةٍ؛ ولكن يُمثِّلُ ذلك في أعينهم[١] : مخالفٌ لنصِّ الحديث وظاهره[٢].

٤ـ وفيه إثباتُ رؤيةِ المؤمنين لربِّهم ﷻ في القيامة وفي جنات النعيم، كما قال سبحانه: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣} [القيامة:٢٢-٢٣].

٥ـ فيه فضلُ النبيِّ محمد ﷺ، وفضلُ أمَّته؛ حيث إنهم أولُ مَن يعبُرُ الصراطَ قبلَ سائر الأمم.

٦ـ أن بعضَ المؤمنين يُعذَّبون في النار، ثم يرحمهم الله، ويُخرِجُهم منها إلى الجنة؛ لأنه لا يُخلَّدُ في النار موحِّدٌ.

٧ـ إثبات ما أثبته اللهُ لنفسه من الصفات من غير تمثيلٍ ولا تكييفٍ، ومن غير تعطيلٍ ولا تحريف، ونُسلِّمُ بذلك، ونقول: {ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا

---

[١] نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٣٨٦ـ ٣٩١).

[٢] وانظر شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية القسم السابع (١/ ١٩٨ـ ٢٠٢)، والدبيجي والدبيجي (ص١٧٤).

يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧} [آل عمران:٧]، فنُثبِتُ له صفةَ الصورةِ، كما نُثبِتُ له بقيةَ الصفات.

٨ـ أن عذابَ المؤمنين يخالفُ عذابَ الكفار؛ حيث إنه لا يعمُّ جميعَ أجسادِهم؛ بل يسلَمُ لهم أثرُ السجود لله ربِّ العالمين؛ حتى يكونَ علامةً لهم، فيعرِفُهم الشفعاءُ به، فيخرجونهم من النار.

٩ـ فيه إثباتُ الصراط، وأن المؤمنين يعبرونه بفضل الله وبرحمته.

١٠ـ فيه أن الصلاةَ أفضلُ الأعمالِ؛ لما فيها من الركوع والسجود لله ربِّ العالمين.

والحمدُ لله الذى بنعمتِه تتِمُّ الصالحات!

[١٥] هل صفةُ الرحمةِ مخلوقةٌ، وهل في صفاتِ الله شيءٌ مخلوقٌ؟

من المتفقِ عليه عند أهل السُّنة والجماعة أن صفاتِ الله ليس شيءٌ منها مخلوقٌ؛ بل الله ﷻ بأسمائه وصفاته هو الخالقُ ﷻ.

ومن صفاتِ الله الذاتية والفعلية صفةُ الرحمة، فهو ﷻ الرحمنُ الرحيم، ذو الرحمةِ العامةِ للخلق جميعًا، والرحمةِ الخاصةِ لأهل طاعته.

ولكن ما معنى الحديثِ الصحيحِ المتفقِ عليه عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً...**»[١].

وكذلك في حديث سلمانَ الفارسيِّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَومَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِئَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً؛ فَبِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهذِه الرَّحْمَةِ**»[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٢٧٥٢).

[٢] أخرجه مسلم (٢٧٥٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقد ورد في هذين الحديثين الصحيحين أن اللهَ خلَقَ الرحمةَ، فما معنى هذه الأحاديثِ، وهل الرحمةُ مخلوقةٌ؟

أجاب على ذلك أهلُ السُّنَّة بجوابين:

الأول- وهو الذي عليه أكثرُ العلماء-: أن الرحمةَ المضافةَ إلى الله تعالى نوعان:

١ـ رحمةٌ مضافةٌ إليه إضافةَ صفةٍ إلى الموصوف بها، كقوله تعالى: {وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ... ١٥٦} [الأعراف:١٥٦]، وهذه الرحمةُ هي صفةٌ ذاتيةٌ وفعليَّةٌ لله، وليست مخلوقةً.

٢ـ رحمةٌ مضافةٌ إليه إضافةَ مفعولٍ إلى فاعلِه، ومخلوقٍ إلى خالقِه، وهذه الرحمةُ ليست صفةً لله تعالى، وإنما هي أثرٌ من آثار رحمته التي هي صفتُه الذاتيَّةُ والفعليَّةُ، ومن أمثلتِها قولُه تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧} [الأعراف:٥٧]، فالرياحُ ونزولُ المطر من آثار رحمةِ الله تعالى.

وقوله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩} [هود:٩]، وقال سبحانه: {فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠} [الروم:٥٠].

وقال سبحانه للجنة: «**أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ**»[١]، فالجنة رحمةٌ مخلوقةٌ من آثار صفةِ الرحمة الذاتية والفعلية لله، ومن هذا القبيل هذان الحديثان، حديثُ أبي هريرة وسلمان الفارسي، فهي من قبيل إضافة المفعول إلى فاعله، والمخلوقِ إلى خالقه[٢].

وفي هذا الجوابِ غُنْيةٌ وكفايةٌ لبيان المراد.

الثاني: ذهب الإمام القرطبي إلى أن قولَه في الأحاديث: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ**»، بمعنى: قدَّر، واستشهد بقول زهير:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ * ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

أي: لا يُقدِّرُ، ويكون معناه: أن اللهَ أظهر تقديرَه لتلك الرحمات[٣].

---

[١] أخرجه البخاري (٤٨٥٠).

[٢] بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ١٥٧ـ١٥٨).

[٣] المفهم للقرطبي (٧/ ٨٣ـ ٨٤).

وفي القول الأول غُنيةٌ وكفايةٌ.

وأما القولُ الثاني فإنه يُشْكِلُ عليه حديثُ: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ**»، وليس من معاني «جعل» التقدير، بينما جاء من معانيها: الخلق، كما في قوله تعالى: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ۝١} [الأنعام:١]، وقوله تعالى: {۞هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ} [الأعراف:١٨٩]، وقوله: { وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠} [الأنبياء:٣٠].

وبناءً على ذلك فليس هناك أدنى تعارض بين الأدلة، وجميعُ صفات الله تعالى ليس منها شيءٌ مخلوقٌ.

[١٦] هل هناك تعارضٌ بين علوِّ الله وفوقيَّتِه على خلقِه وبين قُربِه منهم ومَعِيَّتِه؟

اتفق أهلُ السُّنة والجماعة على أن اللهَ سبحانه وتعالى فوقَ عرشِه قد استوى، وعرشُه فوقَ السموات، فهو سبحانه موصوفٌ بعلوِّ الذات، وعلوِّ القدر، وعلوِّ القهر، كما دلت عليه نصوصُ القرآن والسُّنَّةِ.

ومع علوِّه على خلقه وكونِه سبحانه بذاته فوقَ سمواته مستوٍ على عرشه، أخبرنا ﷻ بأنه قريبٌ من خلقه، وأنه معهم، فهل هناك تعارضٌ بين فوقيَّتِه وعلوِّه وبين قُربِه ومعيَّتِه لخلقه؟

الجواب بعون الملك الوهاب:

أولًا: أنه يستحيل أن يكونَ هناك تعارضٌ بين نصوص الكتاب والسُّنة الصحيحة، وإنما التعارضُ يأتي من جهلِنا وقصورِ أفهامنا، فالقرآن والسُّنَّةُ وحيٌ من عند الله، واللهُ ﷻ يقول: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [النساء:٨٢].

فلما كان القرآنُ والسُّنَّةُ وحيًا من عند الله استحال أن يكونَ فيهما تعارضٌ أو تناقض أو اختلاف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: علوُّ الله على خلقه وفوقيَّتُه ثابتةٌ بالقرآن والسُّنَّة وإجماعِ سلف الأمة، ومن الأدلة على ذلك:

قوله سبحانه: {سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١} [الأعلى:١]، وقال تعالى: {وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥} [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: {عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩} [الرعد:٩].

فهذا علوُّ ذاتٍ، وعلوُّ قدرٍ، وعلوُّ قهرٍ.

وقال سبحانه: {وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ} [الأنعام:١٨]، وقال عن الملائكة: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠} [النحل:٥٠]، وقوله: {ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧} [الملك:١٦-١٧].

فالذي في السماء- أي فوقَ السمواتِ السبعِ- ويمكِنُه أن يخسِفَ الأرضَ بمَن فيها، أو يُرسِلَ عليهم حاصبًا: هو اللهُ وحدَه لا شريك له.

ولذا قال سبحانه: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ...} [فاطر:١٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[١]، وقال ﷺ: «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[٢].

وقال ﷺ: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**»[٣].

وغير ذلك من الأدلة على فوقيَّةِ الله وعلوِّه فوقَ سمواته وعرشِه.

ثالثًا: قربُ الله تعالى من خلقه ثابتٌ بالكتاب والسُّنة وإجماعِ أهل السُّنة، قال الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... ﴿١٨٦﴾} [البقرة:١٨٦].

---

[١] أخرجه البخاري (٤٠٤٩)، مسلم (١٠٦٤).

[٢] أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٦٤٩٤)، وصححه الألباني والترمذي.

[٣] أخرجه مسلم (٢٧١٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ» [١].

وفي لفظٍ لمسلم: «وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» [٢].

وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» [٣].

وقال النبي ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» [٤].

فدلَّت هذه الأدلةُ على أن اللهَ تعالى من صفاته قربُه من خلقه، وأن من أسمائه سبحانه القريبَ.

وهذا القربُ من الله لعبادِه لا يُنافي علُوَّه فوق سمواتِه؛ بل هو قريبٌ في علُوِّه، عالٍ في قُربِه؛ لأنه سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

---

[١] أخرجه البخاري (٣٩٦٨)، ومسلم (٢٧٠٤).

[٢] أخرجه مسلم (٢٧٠٤).

[٣] أخرجه مسلم (١٣٤٨).

[٤] أخرجه مسلم (٤٨٢).

﴿١١﴾} [الشورى:١١]، فاللهُ ﷻ أكبر من كلِّ شيءٍ، محيطٌ بكلِّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، السمواتُ السبعُ في يده كالخَرْدلة في كفِّ العبد، يَقبِضُ السمواتِ السبعَ بيده والأرضَ بيده الأخرى؛ {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾} [الزمر:٦٧]، وهو الظاهرُ الذي ليس فوقه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونه شيءٌ، المحيطُ بكل شيءٍ، فهو المحيط بالزمان والمكان، هل مَن هذا شأنُه يعسُرُ عليه الدنوُّ والقربُ من عباده وهو مستوٍ على عرشه[١]؟!

وكلما كان العبد قريبًا من الله بطاعته ومعرفته وخشيته والتوكُّلِ عليه كان اللهُ ﷻ قريبًا منه بالضرورة، وهذا بالإجماع [٢].

وكذلك يُرادُ بقُربِ الله من خلقه قربُه بعلمِه وقدرتِه ومحبَّتِه ونصرتِه ورحمتِه وتدبيره، وهذا أيضًا بالإجماع [٣].

---

[١] انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة لابن القيم (٢/ ٤٢٨)(٢/ ٤٦٠).

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١٣٣)ـ شرح حديث النزول لابن تيمية (ص٣٧٦).

[٣] مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ١٣)ـ شرح حديث النزول (ص٣٦٥).

وأما قربُه ﷻ بذاته بنفسه من خلقه ففيه قولان لأهل السُّنة، منهم مَن يُثبِتُ قُربَه بذاته على ظاهره، كما قال سبحانه: {فَإِنِّي قَرِيبٌ}[البقرة:١٨٦]، ومنهم مَن يُفسِّر القربَ بالعلم؛ أي: قريبٌ بعلمه وإحاطته [١].

والذي يظهر رجحانه والعلمُ عند الله ﷻ: إثباتُ قُربِ الله ﷻ بذاته من عباده قربًا يليقُ بعظمتِه وجمالِه وجلاله وكماله، لا يشبِهُه قربُ المخلوقين من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيل، وأن هذا لا يُنافي علُوَّه فوقَ عرشِه سبحانه وتعالى.

وهو ما رجَّحه شيخُ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابنُ القيم وجماعةٌ من أهل العلم رحمهم الله تعالى [٢].

بل وأقول: هذا ما نُحِسُّه ونستشعرُه في جميع المواقفِ؛ أن اللهَ معنا بذاته كأننا نراه، وله الفضلُ والمِنَّةُ والعظمة!

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٨).

[٢] الصواعق المرسلة (٢/ ٤٥٩)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١٢٩)، ومعارج القبول (١/ ١٢٩).

قال ابن القيِّم ﷺ: «والأصلُ أن اللهَ قريبٌ من المحسنين، ورحمتُه قريبةٌ منهم، فيكونُ قد أخبرَ عن قربِ ذاتِه وقرب ثوابِه من المحسنين»[١].

وقال: «فهو قريبٌ من المحسنين بذاته ورحمتِه قربًا ليس له نظيرٌ، وهو مع ذلك فوقَ سمواته على عرشه»[٢].

فليس هناك أدنى تعارضٍ بين علوِّ الله فوق خلقِه وبين قُربِه منهم، فالخلقُ جميعًا في قبضةِ الله وهم بين عينيه، كما يضع أحدنُا الدرهمَ في يده، كما قال ابن عباس وغيرُه.

رابعًا: معيَّةُ الله ﷻ لخلقه ثابتةٌ بالكتاب والسُّنة وإجماع سلف الأمة.

قال تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧} [المجادلة:٧].

---

[١] المرجع السابق نفسه.

[٢] المرجع السابق (٢/ ٤٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويظهر معنى المَعيَّة في هذه الآية الكريمة بأنها معيَّةُ العلمِ والإحاطة، بدليلِ أنَّ اللهَ تعالى افتتح الآيةَ بصفةِ العلم، فقال: {أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ...}، وختمها بصفةِ العلمِ، فقال: {إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٧}، فهي المَعيَّةُ العامةُ مِن الله تعالى لجميع خلقِه بالعلم والإحاطة والقدرة.

وقال سبحانه: {يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤} [الحديد: ٤]: دلَّت الآيةُ على المَعيَّةِ العامةِ من الله لخلقه بعلمه وإحاطته وسلطانه وقدرته وسمعه وبصره.

ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ**»[1].

وهي معيَّةُ العلمِ والإحاطةِ كما قرَّره أهل السُّنَّة.

[1] أخرجه البخاري (٣٩٦٨)، ومسلم (٢٧٠٤).

وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨} [النحل:١٢٨]: دلَّت الآيةُ على معيَّةِ الله لأهل طاعته خاصةً، فهي معيَّةٌ خاصةٌ بالنصر والإعانة والتأييد والتوفيق والسَّداد.

وقال سبحانه عن النبيِّ محمدٍ ﷺ حين قال لأبي بكرٍ في الهجرة والغار: {إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ...٤٠} [التوبة:٤٠]: دلَّت الآيةُ على مَعيَّةٍ خاصةٍ من الله لرسوله وصاحبه، وهي مَعيَّةُ النصرِ والتأييدِ والحفظِ من المشركين.

وقال لموسى وهارون لما خافا من فرعون أن يذهبا إليه: {لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦} [طه:٤٦] : فدلَّت الآيةُ على معية الله الخاصة لموسى وهارون بالحفظ والرعايةِ والكِفايةِ والنجاةِ من بَطْشِ فرعونَ؛ بل والتأييد والنصر عليه.

فدل ما سبق على أن المعيةَ معيَّتان:

١ـ **معية عامة**: وهي معيةُ العلمِ والإحاطة والقدرة.

٢ـ **معية خاصة**: وهي معيةُ النصرِ والتأييدِ والتوفيقِ لعبادِه الصالحين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه المعيةُ لا تُنافي علُوَّ الله على خلقه، فاللهُ قد أحاط بكل شيءٍ علمًا، وهو المُؤيِّدُ النصيرُ المُعينُ الحفيظُ لعباده المؤمنين، وهو ﷻ مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وهذا محلُّ إجماعِ أهل السُّنة والجماعة[١].

ومما سبق يتبيَّن: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى فوقَ سمواته بذاتِه مستوٍ على عرشه استواءً يليقُ بجلاله، وهو ﷻ قريبٌ من خلقه بذاته وعلمِه وإحاطتِه وفضلِه ورحمتِه وسلطانِه، وقدرتُهم تحت سمعه وبصره وقهره وعظمته، وهو معهم أينما كانوا بعلمه وإحاطته، ومع أوليائه بنُصرتِه وحفظِه ورعايتِه.

فليس هناك ما يدعو إلى دعوى التعارض أو التناقض في آيِ الكتاب أو أحاديثِ الرسول ﷺ، وإنما التعارضُ يأتي من جهل الجاهلين، وكيدِ الكائدين.

شُبُهاتُ القائلين بأن اللهَ في كلِّ مكانٍ والردُّ عليها:

احتج الحُلُوليَّةُ الذين يعتقدون أن اللهَ تعالى يحِلُّ بذاته في مخلوقاته، كما يحلُّ الماءُ في الإناء كابن عربي الحاتمي، والحلاج، وابن سبعين، وغلاةِ الصوفية والفلاسفة، والذين يقولون بأن اللهَ في كلِّ مكان بذاتِه، تعالى اللهُ عن

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٢)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٥٦).

قولهم علوًّا كبيرًا، احتجوا بأدلة من القرآن والسُّنَّة حسَبَ زعمِهم على أن اللهَ في كلِّ مكانٍ، خلافًا لعقيدةِ النبيِّ ﷺ وأصحابه، ومن هذه الأدلةِ التي احتجوا بها:

١ـ قوله تعالى: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ} [المجادلة: ٧]، ففهموا منها أن اللهَ في كلِّ مكانٍ، وأن الله يحِلُّ في المخلوقات.

والجواب عليهم: أن الإسلامَ هو القرآن والسُّنَّة بفهم سلف الأمة أصحاب النبي ﷺ ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وهذه الآية فهِمَها رسولُ الله ﷺ وصحبُه الكرامُ ومَن تبِعَهم مِن المحدِّثين والفقهاء والمفسِّرين كأبي حنيفة ومالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ والبخاريِّ ومسلمٍ والطبري وابن كثير... إلى آخره على أن معناها: أن اللهَ معهم بعلمِه وإحاطتِه، وسمعِه وبصرِه، وقدرتِه وسلطانه، وهذه المعيةُ العامةُ من الله لجميع خلقِه، أما المعيةُ الخاصةُ فهي معيَّةُ النصرِ والتأييد والتوفيقِ من الله بعباده المؤمنين: {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل:١٢٨]، وهذا هو إجماعُ أهلِ العلم من أهل السُّنة والجماعة من الصحابة وتابعيهم بإحسان[1].

---

[1] انظر: الشريعة للآجري (٣/ ١٠٧٦)، والإبانة لابن بطة (١٤٤) والعلو للذهبي (٢٤٦)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٨)، وشرح الواسطية لخليل هراس(١٩٣)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأعظمُ دليلٍ على أنها معيةُ العلم أن اللهَ تعالى افتتح الآيةَ واختتَمَها بصفة العلم، فعلمُه محيطٌ بجميع خلقه، وهو مستوٍ على عرشه، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾} [الملك:١٤].

بل إن لفظَ المعية في لغة العرب لا يرادُ به أبدًا اختلاطُ إحدى الذاتين بالأخرى، قال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ...} [الفتح:٢٩]، فهم معه ينصرونه على دينِه، ولم تختلط ذواتُهم، ولم يَذُبْ بعضُها في بعضٍ[١].

٢ـ استدلوا بقوله تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ... ﴿٨٤﴾} [الزخرف:٨٤]، وقالوا: إنها دليلٌ على أن اللهَ في كلِّ مكانٍ.

والجواب: أن هذا فهمٌ لم يثبُتْ عن النبي ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين، وإنما هو وهَمٌ، فأما إجماعُ السلفِ الصالحِ كلِّهم فانعقد على أنَّ معنى الآية: أنَّه إلهُ أهلِ السماءِ وإلهُ أهلِ الأرض، هو المعبودُ في السماءِ وهو المعبودُ في الأرض سبحانه وتعالى، قال سبحانه: {وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ} [المائدة:٧٣][٢].

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١٠٣)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٠٠).

[٢] انظر تفسير الطبري (١١/ ٢١٧)، وابن كثير (٤/ ٢٠٧)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٤٣)، والشريعة للآجري، (٣/ ١١٠٤)، والتمهيد (٧/ ١٣٤).

٣ـ واستدلوا بقوله سبحانه: {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾} [الأنعام:٣]، فهموا منها أن اللهَ في كل مكان في السموات وفي الأرض بذاته.

والجواب: أن هذا فهمٌ عقيمٌ مخالفٌ لإجماع السلف الصالح نقلًا وعقلًا وعُرفًا، فقوله: {وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ}؛ أي: هو المألوهُ المعبودُ وحدَه في السمواتِ وفي الأرض، وهو ﷻ فوقَ سمواته مستوٍ على عرشه.

وأيضًا: نقول من جهةِ العقل- ولله المثلُ الأعلى-: حينما يقال: فلانٌ حاكمُ مكةَ والمدينة، أو فلانٌ حاكمُ مصر والسودان، وهو يقيم بمكةَ أو هو مقيم بمصر، هل معنى ذلك أنه موجودٌ بذاته في مكة والمدينة في آنٍ واحدٍ، هذا لا يقبله عقلٌ، وإنما هو موجودٌ في إحداهما، وقد يكونُ غيرُ مقيمٍ بهما.

٤ـ واستدلوا بقوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾} [ق:١٦]، وقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾} [الواقعة:٨٥]؛ فقالوا: إنَّ معنى قُربِه بذاته أنه في كلِّ مكانٍ، وأنه يحِلُّ في المخلوقاتِ!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا تأويلٌ باطلٌ، فقُربُ الله تعالى من خلقه- سواءٌ بذاته أو بعلمه ﷻ - لا يتنافى مع استوائه على عرشِه وعلُوِّه على خلقه، فالخلقُ جميعًا في قبضتِه، وتحت قهرِه ومشيئتِه، {وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧} [الزمر:٦٧]، والخلقُ جميعًا أمامَ عين الله كما يضع أحدُهُم الدرهمَ في يده، فهو منهم قريبٌ، أقربُ إليهم من حبل الوريد، وهو سبحانه العليُّ العظيم، الأعلى، الكبير المتعال.

إضافةً إلى أن سياقَ الكلام في الآيتين يدلُّ على أن المرادَ بهما الملائكة، قال تعالى: {وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨} [ق:١٦-١٨]؛ فهذا قربُ المَلَكين اللذين يكتبان ويحفظان أعمالَ الإنسان، وهذا لا يَنفي قُربَ اللهِ من خلقه بعلمِه وذاتِه.

وقوله سبحانه في سورة الواقعة: { فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥} [الواقعة:٨٣، ٨٥]: فهو قربُ الملائكة التي تُبشِّرُ الميِّتَ، وتقبِضُ روحَه، وهذا أيضًا لا ينافي قربَ الله ﷻ من خلقه بعلمه وذاته، وإحاطتَه مع استوائه على عرشِه وعُلُوِّه فوقَ خلقه

سبحانه وتعالى، {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١} [الشورى:١١] [١].

[١٧] هل يدُ اللهِ كلتاهما يمينٌ أم إحداهما يمينٌ والأخرى شِمالٌ؟

عن عبد الله بن عمرو بن العاصِ ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»[٢].

فدل الحديثُ على أن كلتا يَدَي ربي يمين.

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ**»[٣].

---

[١] انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٦٤)، وابن كثير (٤/ ٣٤٥).

[٢] أخرجه مسلم (١٨٢٧).

[٣] أخرجه مسلم (٢٧٨٨).

دلَّ هذا على أن إحدى يدى ربِّي يمينٌ، والأخرى شِمالٌ، فهل هناك تعارضٌ بين الحديثين؟

أولًا: قبل الجواب على هذا السؤال لا بدَّ من بيانِ أن اللهَ تعالى له يدان لا تُشبِهُ يدَ المخلوقين، تَليقان بجلالِه وكمالِه سبحانه وتعالى، وهذا باتفاق أهل السُّنة والجماعة، خلافًا لأهلِ البدعة من المعتزلة والأشعرية الذين يؤوِّلُون صفةَ اليد إلى معنى القدرة والقوة، وينفون عن الله تعالى هذه الصفةَ.

ثانيًا: ذهب بعضُ أهلِ العلم إلى الجمع بين حديث: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» وحديث: أن إحداهما يمين والأخرى شمال: بأنَّ النبيَّ ﷺ وصف كلتا يدي ربِّه باليمين على جهةِ التأدُّبِ والثناء على الله وصفاته وأفعاله؛ إجلالًا وتعظيمًا، وإلا فهُما يمينٌ وشمالٌ كما صحَّ به الخبرُ عن رسولِ الله ﷺ.

وهذا ما رجَّحه الإمام أبو سعيدٍ الدارمي، وأبو يعلى الفرَّاء، ومحمد بن عبد الوهاب، وصديق حسن خان، وابن باز، وخليل هرَّاس، وعبد الله الدويش،

وعبد الله الغنيمان وغيرهم [١]؛ وذلك لحديث ابن عمر: «**ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ**» [٢]، وحديث أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ، فَضَرَبَ كَتِفَهُ اليُمْنَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ، كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ اليُسْرَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الجَنَّةِ، وَلَا أُبَالِي وَقَالَ: لِلَّذِي فِي كَفِّهِ اليُسْرَى: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي**»[٣].

وفي وصف إحدى يدَيِ الرحمن باليمين يدلُّ على أن الأخرى يسارٌ، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ- أَوِ القَبْضُ- يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**»[٤].

---

[١] رد الإمام الدارمي على المريسي (ص٥١٣)، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (ص١٧٦)، والدبيجي (ص٢٢٧)، والتوحيد لابن عبد الوهاب (ص١٠٧)، وقطف الثمر لصديق خان (ص٦٦).

[٢] سبق تخريجه.

[٣] أخرجه البزار (٢١٤٤) وعبد الله بن أحمد في السنة (١٠٥٩) بإسناد حسن.

[٤] أخرجه البخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٩٩٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثًا: ذهب فريقٌ آخَرُ من أهل العلم- كابن خُزَيمة في كتاب «التوحيد»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» والألباني- إلى تضعيفِ لفظِ الشِّمال، وحكموا عليه بالشذوذ: «**وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ**»، ليس يمين وشمال[١].

وكذلك احتجوا بحديث عبد الله بن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ فَأَخَذَهُ بِيَمِينِهِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[٢]، وحديث ابن عمر: «**إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»[٣]، وحديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطِسَ فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ يَرْحَمُكَ اللهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ المَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ، فقالَ اللهُ لَهُ**

---

[١] التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٥٩) (١/ ١٩٧)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٦٠).

[٢] أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٦) وحسنه الألباني.

[٣] سبق تخريجه.

وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ» [١].

وقد سُئِل الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني: كيف نُوفِّقُ بين روايةِ: «**بِشِمَالِهِ**» الواردة في حديث ابن عمر في «صحيح مسلم»، وقوله: «**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**»؟

فأجاب: لا تعارُضَ بين الحديثين بادئ بدءٍ، فقولُه: «**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» تأكيدٌ لقوله سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾} [الشورى: ١١].

فهذا الوصفُ الذي أخبر به رسولُ الله ﷺ تأكيدٌ للتنزيه، فيدُ الله ليست كيَدِ البشرِ، شمالٌ ويمينٌ، ولكن كلتا يديه يمينٌ.

وأمرٌ آخرُ: أن رواية «**بِشِمَالِهِ**» شاذَّة؛ ويؤكِّد هذا أن أبا داود رواه: «**بِيَدِهِ الأُخْرَى**»، بدل: «بشمالِه»، وهو الموافِقُ لقولِه: «**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**». والله أعلم[١].

---

[١] أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٠٦) وابن حبان (٦١٦٧) وحسنه الألباني.

وبعد ذكر أقوالِ العلماء يتبيَّن أن القولَ الراجحَ هو القولُ الثاني بعدم وصف إحدى يدي الله تعالى بالشِّمال؛ وذلك للآتي:

أ- لضعف هذه اللفظة والحكم عليها بالشذوذ، فإثباتُ صفاتِ الله تعالى لا بدَّ أن تكونَ بما صحَّ عن الله ورسوله ﷺ، قال ابن القيِّم رحمه الله: «ولا نشهَدُ على رسول الله ﷺ إلا بما صح عنه».

ب – حديث: «**يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ**»، فيه عمر بن حمزة، وقد ضعَّفه الإمام أحمد، وقال: «في أحاديثِه مناكيرُ، وضعَّفَه النسائيُّ وابن حَجَر» [٢].

ج – وأما حديثُ أبي الدَّرداء في قصة خلق آدمَ في قوله: «**وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ اليُسْرَى إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي...**»، وفي رواية عبد الله بن الإمام أحمد: «**وَقَالَ لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ**»؛ أي: في كفِّ آدمَ اليسرى: فالضميرُ يعودُ إلى آدمَ وليس إلى الله، فليس فيه حجةٌ في إثباتِ صفة الشِّمال إلى الله.

---

[١] مجلة الأصالة، العددالرابع ص٦٨ نقلًا عن كتاب أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض للدكتور/ سليمان الدبيجي ـ سلسلة منشورات دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض رقم ٢٠ (ص٢٨٠ـ٢٨١).

[٢] تقريب التهذيب (١/ ٧١٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٣٧).

فائدة:

أسماءُ اللهِ كلُّها حسنى، وصفاتُه كلُّها عُليا؛ ولكن التفاضُلَ بينهما جائزٌ وواردٌ، قال النبيُّ ﷺ: «**دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ...**»، فالأسماءُ بعضُها أعظمُ من بعضٍ، وليس في ذلك نقصٌ للأخرى، وكذلك صفاتُه سبحانه وتعالى؛ ولذلك قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في حديث أبي موسى في الصحيحين عن النبي ﷺ: «**إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّه لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَالقِسْطُ بِيَدِهِ الأُخْرَى يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**»[(١)].

قال: فبيَّن أن الفضلَ بيدِه اليمنى، والعدلَ بيده الأخرى، ومعلومٌ أنه مع أن كلتا يديه يمين، فالفضل أعلى من العدل، وهو سبحانه كلُّ رحمةٍ منه فضلٌ، وكلُّ نقمةٍ منه عدلٌ، ورحمتُه أفضلُ من نقمته؛ ولهذا كان المقسطون على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمن، ولم يكونوا عن يدِه الأخرى، وجَعْلُهم عن يمينِ الرحمنِ تفضيلٌ لهم، كما فضَّلَ في القرآن أهلَ اليمين وأهلَ الميمنة على أصحاب الشِّمالِ وأصحابِ المشأمة، وإن كانوا قد عُذِّبوا بعدله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٩٩٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكذلك الأحاديثُ والآثارُ جاءت بأن أهلَ قبضتِه اليمنى هم أهلُ السعادة، وأهلَ القبضةِ الأخرى همُ أهل الشقاوة. اهـ[١].

[١٨] هل هناك تعارُضٌ بين سِحْرِ النبيِّ ﷺ وعِصْمتِه؟

من المعلوم أن النبيَّ ﷺ معصومٌ في عقله ودعوتِه وبلاغِه عن الله تعالى، وقد ثبت أن النبيَّ ﷺ سُحِرَ سِحْرَ التخييل، فهل هذا يتعارضُ مع عِصمته في عقلِه وبلاغِه عن الله تعالى؟

عن عائشةَ قالت: سَحَرَ النبيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بنُ الأعصمِ، حتَّى إنَّه لَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّه يَفْعَلُ الشَّيْءَ وما فَعَلَهُ، حتَّى إذَا كانَ ذَاتَ يَومٍ وهو عِندِي، دَعَا اللهَ ودَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أنَّ اللهَ قَدْ أفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ**» قُلتُ: وما ذَاكَ يا رَسولَ اللهِ؟ قَالَ: «**جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَجَلَسَ أحَدُهُما عِنْدَ رَأْسِي، والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أحَدُهُما لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بنُ الأعْصَمِ اليَهُودِيُّ مِن بَنِي زُرَيْقٍ، قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فأيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بئْرِ ذِي**

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٩٣).

أَرْوَانَ» قَالَ: فَذَهَبَ النبيُّ ﷺ في أُنَاسٍ مِن أصْحَابِهِ إلى البِئْرِ، فَنَظَرَ إلَيْهَا وعَلَيْهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إلى عَائِشَةَ فَقَالَ: «**وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ولَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**» قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ أفَأخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «**لَا، أمَّا أنَا فقَدْ عَافَانِيَ اللهُ وشَفَانِي، وخَشِيتُ أنْ أُثَوِّرَ علَى النَّاسِ منه شَرًّا وأمَرَ بهَا فَدُفِنَتْ**»[1].

وجه الإشكال في هذا الحديث من عدَّةِ وجوهٍ:

الأول: أن السِّحرَ من عملِ الشياطين، فكيف يصلُ إلى النبيِّ ﷺ مع عصمةِ الله له؟

الثاني: أن ثبوتَ السِّحرِ في حقِّ النبي ﷺ يؤيِّدُ قول المشركين فيه: {إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾} [الإسراء:٤٧].

الثالث: أن تأثيرَ السِّحرِ في النبي ﷺ يُنافي عصمتَه، ويقدَحُ في نبوَّتِه، ويزيلُ الثقة فيما يبلِّغه؟

والجواب على ذلك من وجوه:

---

[1] أخرجه البخاري (٥٤٣٠، ٣٠٠٤، ٦٠٢٨)، ومسلم (٢١٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولًا: حديثُ عائشةَ في سحر النبي ﷺ ثابتٌ صحيحٌ مُتَّفَقٌ على صحته، ولا حجةَ لمَن أنكره ورده، كالمعتزلة، وأبي منصور الماتريدي، والرازي الجَصَّاص، وابن حزم[١].

ثانيًا: أن السِّحرَ له حقيقةٌ وتأثيرٌ كما ورد الكتاب والسُّنة، كما في قوله تعالى: {وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾} [البقرة:١٠٢]، وكذلك ما ورد في قصَّة موسى وفرعون والسَّحَرة، وقوله: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾} [سورة الفلق]، وحديثُ النبي ﷺ: «**مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ**

---

[١] المحلي لابن حزم (١/ ٥٨)، والفِصَل (٣/ ١٦٨)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٢)، ومعارج القبول(١/ ٣٦٨)، والتحرير والتنوير (١/ ٦٣٤ـ ٦٣٥).

يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ» [١]، وحديثُ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**» [٢]، وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسُّنة.

ثالثًا: السِّحر الذي أصاب النبيَّ ﷺ وأثَّر فيه بأنه كان يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيءَ من أمر الدنيا وهو لم يفعله: هو عرَضٌ من الأعراض التي تعتري البشر جميعًا بما في ذلك الأنبياء، كالمرض والجوعِ والعطش والحزنِ والبرد والتعبِ والإعياء والإغماء ونحوِ ذلك، وكلُّ ذلك لا يوجِبُ خللًا في عقله ولا تخليطًا في قوله ﷺ.

وهذا هو قولُ عامةِ أهل السُّنة والجماعة[٣].

---

[١] أخرجه البخاري(٥٤٤٥).

[٢] أخرجه البخاري(٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

[٣] انظر تفسير القرطبي (٢/ ٤٦)، وابن كثير (١/ ٢٢٠)، وفتح القدير (١/ ١٢١)، وعقيدة السلف للصابوني (٢٩٦)، وفتح الباري (١/ ٢٢٢)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٤/ ٤٢٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الشنقيطيُّ عن حديث عائشةَ ﵂ في سحرِ النبيِّ ﷺ: في هذا الحديث الصحيح أن تأثيرَ السِّحرِ فيه سبَّبَ له المرضَ، بدليل قوله: «**أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي**»، وفي الحديث: «**قَال المَلَكُ لصَاحِبِه ما وجَعُ الرَّجُلِ؟ قال: مَطْبوبٌ؛ أي: مَسْحُورٌ**». وهو صريحٌ بأن السحرَ سبَّب له وجعًا ﷺ.

وقد ثبت أن السَّحَرةَ سحَروا عينَ موسى ﷺ؛ حتى إنه خُيِّل إليه من سِحرِهم أن العصى والحبالَ حيَّاتٌ تسعى، حتى أوجس في نفسِه خيفةً، فقال الله له: {لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾} [طه:٦٨].

رابعًا: كلُّ ما يصيبُ الأنبياءَ والرسلَ من البلايا كالسحر والسُّمِّ والقتل والأذى والمرض ليس قادحًا في نبوَّتِهم ولا أفضليتهم، وإنما هو امتحانٌ وابتلاءٌ؛ حتى يقتديَ بهم مَن بعدهم.

خامسًا: قال القرطبي ﵀: «الأنبياء من البشر، فيجوزُ عليهم من الأمراض والآلام والغضَبِ والضجَرِ والعجز والسِّحر والعين وغيرِ ذلك ما يجوز على البشر؛ لكنهم معصومون عما يناقِضُ دلالةَ المعجزة من معرفة الله تعالى، والصدقِ، والعصمةِ عن الغلط والتبليغِ، وعن هذا المعنى عبَّر الله بقوله: { قُلْ

إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ...} [فصلت:٦]؛ من حيث البشريةُ يجوزُ عليهم ما يجوز على البشر.

ومن حيث الخاصةُ النبويةُ امتاز عنهم، وهو الذي شهد له العليُّ الأعلى بأنَّ بصَرَه ما زاغ وما طغى، وبأن فؤادَه ما كذب ما رأى، وبأن قولَه وحيٌ يُوحَى، وأنه ما ينطقُ عن الهوى»[١].

سادسًا: لا يمكن أن يتلبَّسَ أمرُ السِّحر بأمر النبوة على أحدٍ؛ إذ الفرقُ بين النبيِّ ﷺ والساحرِ أعظمُ من الفرقِ بين الليل والنهار، فالنبيُّ يأتيه مَلَكٌ كريمٌ من عند الله يخبِرُه عن الله، والساحرُ يأتيه شيطانٌ لئيمٌ يأمُرُه ويخبِرُه، فلا الخبرُ كالخبر، ولا الأمرُ كالأمر، ولا مخبَر هذا كمخبَر هذا، كما أنه ليس هذا مثل هذا[٢].

---

[١] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٥٧٠).

[٢] النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٥٢،٢/ ٧٠٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال شيخ الإسلام: الفرقانُ بينهما أعظمُ كالفرق بين الملائكة والشياطين، وأهلِ الجنة وأهلِ النار، وخيارِ الناس وشرارِهم، وهذا أعظمُ الفروق بين الحق والباطل [١].

وجنسُ آيات الأنبياء خارجةٌ عن مقدورِ الخلق من الإنس والجنِّ وسائرِ الحيوانات، كما في نبع الماء ما بين أصابعِ النبي ﷺ، وكونِ الطعام القليلِ يصيرُ كثيرًا، ويكفي الجماعاتِ من الناس، ونحوِ ذلك.

أما ما يأتي به السَّحَرة فهو لا يخرج عن مقدور الإنس والجن، كالطيرانِ في الهواء، فإنه مقدورٌ للجنِّ، وكذا كونُ الساحر يقتُلُ بسحره ويُمرِض، ويفرِّقُ بين المرء وزوجِه، كلُّ ذلك مقدورٌ للإنس والجن.

كما أن معجزةَ الأنبياءِ لا يمكِنُ لأحدٍ أن يعارِضَها بمثلِها أو يبطِلَها، كما قال سبحانه: {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾} [الإسراء:٨٨].

---

[١] مرجع سابق.

وما حصل بين موسى وسَحَرةِ فرعون لأكبرُ دليلٍ على ذلك، أما خوارِقُ السَّحَرة فإنه يمكن أن تُعارَضَ بمثلها، وبأقوى منها.

النبي ﷺ صادقٌ في كلِّ ما يُخبِرُ به عن الله لا يكذِبُ أبدًا، أما السَّحَرةُ والكُهَّانُ فلا بدَّ لهم من الكذب، قال تعالى: {هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣} [الشعراء:٢٢١-٢٢٣].

الأنبياءُ لا يأمرون إلا بالعدل وطلب الآخرة وعبادة الله وحدَه، وأعمالُهم البِرُّ والتقوى، بخلاف السَّحَرة الأنجاس، فإنهم يأمرون بالشِّركِ والظلمِ والكفر وأعمال الإثم والعدوان.

آياتُ الأنبياء لا تكونُ إلا لهم ولمَن تبعهم، أما السِّحرُ والكهانةُ فهي أمورٌ معتادةٌ معروفة لأصحابها، وليست خارقةً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السِّحر والكهانة ينالها الإنسانُ بتعلمها واكتسابها من العاملين بها وكُتبِها، بخلاف النبوة فإنه لا ينالها أحدٌ باكتسابه؛ بل اللهُ يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس[١].

سابعًا: هل تجويز السِّحرِ على الرسول ﷺ يؤيِّد قولَ الكفار: {وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ۝٨} [الفرقان:٨]؟

الجواب من عدة وجوه:

١-أن ادِّعاءَ المشركين كان في مكةَ في بداية الدعوة، وحديثُ السِّحر كان في المدينة بعد الهجرة بسنواتٍ، وليس مرادُ المشركين ما ورد في حديث السِّحر، وإنما مرادُهم وصفُه بأنه مجنونٌ ومسحورٌ قد ذهب عقله، والتبس عليه أمرُه، وأنَّ ادَّعاءَه النبوةَ إنما هو محضُ تخريفٍ بسبب جنونه وسحره؛ ولذلك قالوا عنه: مُعلَّمٌ مجنونٌ، وأرادوا بهذا الادعاءِ تنفيرَ الناس عنه؛ حسدًا من عند أنفسهم: {وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ۝٣١} [الزخرف:٣١].

---

[١] انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ١/ ٥٥٨،٥٥٩) (٢/ ١٠٧٤-١٠٩٥)، وتفسير القرطبي (٢/ ٤٧).

فليس ما دل عليه الحديثُ هو ما عناه المشركون في الآية.

٢ـ هذا السِّحرُ الذي قدَّره الله عليه لم يكن له أدنى تأثيرٍ على عقلِه ودعوتِه ورسالتِه ووحيِ اللهِ إليه، فإنه معصومٌ في ذلك بعِصْمةِ الله له، وكان زمنًا محدودًا، ثم شفاه الله وعافاه منه.

٣ـ قدَّر اللهُ على رسوله ﷺ هذا السحرَ ليُعلِّمَ الأمَّةَ أن السحرَ قد يصيبُ الصالحين بقدَرِ الله؛ ابتلاءً لهم، وليعلِّمَ اللهُ الأمةَ أن من أُصيبَ منها بشيءٍ من ذلك كيف يعالجُ نفسَه منه، كما فعل رسولُ الله ﷺ بالدعاء والضراعة والرُّقية، ورُقية جبريلَ له، والرقية بالمعوذات ونحوها[1].

ثامنًا: وهل لحوقُ ضرر السِّحر يُنافي عصمةَ النبي ﷺ ونبوَّتَه؟

الجواب: الإجماعُ منعقدٌ على عصمتِه ﷺ- وكذلك سائرُ الأنبياء- فيما يُبلِّغُ عن اللهِ تعالى.

وأما الأعراضُ البشريةُ كالأمراضِ والآلام ونحوِ ذلك مما يعتري البشَرَ فالأنبياءُ أشدُّ الناسِ بلاءً، ثم الأمثلُ فالأمثل، كما صحَّ عن رسول الله ﷺ.

---

[1] أضواء البيان (٤/ ٥١١،٥٠٦)، وبدائع الفوائد (٢/ ٣٦٥،٣٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فجميعُ الأنبياء بشرٌ، ويصيبهم في ذلك ما يصيب البشرَ، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ...} [الكهف:١١٠]، وحكى عن الأنبياء قولَهم: {إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ... ﴿١١﴾} [إبراهيم:١١].

والسحرُ الذي أصاب رسولَ الله ﷺ كان ضررُه جسديًّا لا تأثيرَ له على عقلِه وقلبِه، وقد جاء في بعضِ رواياتِ الحديث كونُه يُخيَّلُ إليه أنه يأتي النساءَ وهو لم يأتِهنَّ[1].

تاسعًا: السِّحرُ من عمل الشيطان، والشياطينُ لا تتسلَّطُ إلا على مَن غفَلَ عن الله تعالى، فكيف تتسلَّطُ الشياطين بالسِّحر على رسول الله ﷺ، وهو أكملُ الأمة علمًا وإيمانًا؟!

الجواب: أن الأنبياءَ معصومون من تسلُّطِ الشياطين على قلوبِهم، وأما تسلُّطُه على أبدانِهم وأولادِهم وأزواجِهم وإلقاءِ الوساوسِ إليهم فهم مُعرَّضون لذلك بحكم بشريَّتِهم، كما قال اللهُ تعالى عن آدمَ وحوَّاءَ: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا... ﴿٢٠﴾} [الأعراف:٢٠]، وقال عن

[1] أخرجه البخاري (٥٤٣٢) (٥٧١٦)، والشفا للقاضي عياض (٣٧٦)، وزاد المعاد (٤/ ١٢٦).

أيوب: {وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾} [ص:٤١].

وهكذا نبيُّنا محمدٌ ﷺ، إنما تسلَّطَ الشيطانُ على جسدِه في حديث السِّحر، لا على قلبِه ولا على عقلِه[١].

كما تسلط الشيطانُ على ولد نوحٍ وزوجِه، وزوجةِ لوطٍ، ووالدِ إبراهيمَ، وكلُّ هذا لا يضُرُّ الأنبياءَ في شيءٍ.

والشيطان حاول كثيرًا إيذاءَ النبي ﷺ، ومن ذلك: ظاهَرَ الكفارَ على قتله، وكبَتَه اللهُ وردَّه خاسئًا، وتفلَّت على النبي ﷺ بشهابٍ من نار ليُحرِقَ به وجهَه وهو في الصلاة، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ**»[٢]، وأعان اليهودَ على سحره.

فالتسليطُ على الجسدِ والأهلِ والمالِ والولد من جنس الأسباب التي تنشأُ عنها الأعراضُ البشريةُ كالمرض، وذلك يقعُ للأنبياء، فإنهم يصيبُهم المرضُ

---

[١] بدائع الفوائد (٣٩٠-٣٩١).

[٢] أخرجه مسلم (٥٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وموتُ الأهلِ وهلاكُ المال لأسبابٍ متنوعةٍ، ولا مانعَ أن يكونَ من جملةِ تلك الأسباب تسليطُ الشيطان على ذلك للابتلاء [١].

[١٩] هل الشُّهُبُ التي تُقذَفُ بها الشياطينُ كان يُرمَى بها في الجاهلية أم كان ذلك بعدَ مَبعَثِ النبيِّ ﷺ؟

عن ابن عباس، قال: بينَما رسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ في نفرٍ مِن أصحابِهِ إذ رُمِيَ بنجمٍ فاستَنارَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما كنتُمْ تقولونَ لمثلِ هذا في الجاهليَّةِ إذا رأيتُموه؟**» قالوا: كنَّا نقولُ: يموتُ عظيمٌ أو يولَدُ عظيمٌ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**فإنَّهُ لا يُرمَى بِهِ لِمَوْتِ أحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ؛ وَلَكِنَّ رَبَّنا تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّماءِ الَّذينَ يلونَهُم، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسبيحُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ سَأَلَ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّادسةِ أَهْلَ السَّماءِ السَّابِعَةِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: فَيُخْبِرُونَهُمْ ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى يَبْلُغَ الخَبَرُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَتَخْتَطِفُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَيَرْمُونَ فَيَقْذِفُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَزِيدُونَ**»[٢].

---

[١] انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٧٤٥) عند كلامه على نبي الله أيوب في قوله: {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}.

[٢] أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

الجواب: ليس هناك أدنى تعارُضٍ بين الحديثين، وإنما المعنى أن الشُّهُبَ كان يُرمَى بها في الجاهلية وقبلَ مبعَثِ النبي ﷺ؛ لكن ليس على الدوام والكثرة التي كانت بعدَ البعثة ونزولِ القرآن، فكان يُرمَى بها في وقت دون وقت، وجانبٍ دون جانب.

فلما بُعِث النبيُّ ﷺ ونزل القرآن كثُر ذلك وغلُظَ، وشُدِّد في حراسة السماء، فأصبحوا يُرمَون من كلِّ جانبٍ، كما قال الله سبحانه: {إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨} [الصافات:٦-٨]، وقال: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥} [الملك:٥]، فبذلك يُجمَع بين الحديثين، ولا يوجدُ أدنى تعارض.

وأما قولُ مَن قال: «إنها لم يُرْمَ بها إلا قبلَ مَبعَثِ النبيِّ ﷺ بقليل»: فهذا تحديدٌ يحتاجُ إلى دليل، ولا دليلَ على ذلك.

وأما قولُ مَن قال: «إن الرميَ بالشُّهُبِ لم يكن إلا بعد بعثةِ النبي ﷺ»: فهذا قولٌ ضعيف، يرُدُّه قولُ النبي ﷺ: «**مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟**»؛ فهو صريحٌ في الرميِ بالشُّهُب في الجاهلية وقبلَ مبعث النبيِّ ﷺ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٢٠] هل الموتى يسمعون أم لا يسمعون؟

قد ورد في بعض الأحاديث ما يدلُّ على سماعِ الأمواتِ بعد دفنهم في قبورهم، ومن ذلك حديثُ ابن عمر ﷺ في قصة صناديد قريشٍ المطروحين في قليب بدر:

عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنْهما قَالَ: اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ علَى أهْلِ القَلِيبِ، فَقَالَ: «**وجَدْتُمْ ما وعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟**». فقِيلَ له: تَدْعُو أمْوَاتًا؟ فَقَالَ: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ**»[(١)].

فدلَّ الحديثُ على أن هؤلاء الأمواتَ سمِعوا ما قاله النبي ﷺ لهم بدليل قوله في الرواية الأخرى: «**إِنَّهُمُ الآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ**»[(٢)].

فاعترضت أمُّ المؤمنين على سماعهم، وقالت: إنما قال النبيُّ ﷺ: إنَّهم الآنَ ليعلمون أن الذي كنتُ أقولُ لهم هو الحقُّ، ثم قرأتْ: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ...} [النمل: ٨٠] حتى قرأت الآيةَ[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٤-٣٨٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٠).

ورأت أمُّ المؤمنين أن حديثَ ابنِ عمر يتعارضُ مع قول الله تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ}، وقوله: {وَمَآ أنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾} [فاطر:٢٢]، حتى قال الحافظ ابنُ كثيرٍ: هذا ممَّا كانت عائشةُ تتأوَّلُه من الأحاديث، وتعتقِدُ أنه مُعارِضٌ لبعض الآيات[٢].

والجواب على ذلك:

ذهب جماهيرُ أهلِ العلم إلى الجمع بين الآيات والأحاديث الواردة في السَّماع كحديث القَلِيب، وحديثِ: «**إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»، وحديثِ: إلقاء السلام على الموتى عند زيارة القبور، وحديث: «إنَّ اللهَ يرُدُّ رُوحَ الميِّتِ لتَرُدَّ السلامَ على مَن يخُصُّها بالزيارةِ والسَّلامِ»:

ذهبوا إلى أن الأصلَ في الموتى أنهم لا يسمعون؛ لقوله سبحانه: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ}، وقوله: {وَمَآ أنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ}، وأن الاستثناءَ ما ورد به الدليل؛ كسَماعِ أهلِ القليب، وسَماعِ الميِّت لقَرْعِ النِّعال، وسَماعِه السلامَ

---

[١] أخرجه البخاري (٣٧٦٠-١٣٠٥).

[٢] البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٩٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ممَّن يُسلِّمُ عليه، وردِّ الرُّوحِ لردِّ السلامِ على مَن يُسلِّمُ عليه، وبذلك يكون الجمعُ بين كلِّ الأدلة.

وهذا ما ذهب إليه قتادةُ، وأبو يعلى، وابنُ عطية، وابن الجوزي، والألوسي وولده نعمان، والشوكاني، وأبو عبد الله القرطبي، والألباني، وتبعتهم اللجنةُ الدائمةُ للبحوث والإفتاء وغيرهم[١].

فهم يسمعون في أوقاتٍ دونَ أوقاتٍ، كما ورد به الدليل.

وقد ذهب بعضُ العلماء إلى القول بعمومِ سماعِ الأمواتِ في جميع الأحوال، كابن مُفلِحٍ والشيخ الشِّنقيطي[٢].

---

[١] الآيات البينات في حكم سماع الأموات، لنعمان الألوسي بتحقيق الألباني، وانظر تعليقَ الألباني (ص٤٠)، والسنة لابن أبي عاصم (٤١٤)، والفتح (٣/ ٢٣٥)، وفتاوى اللجنة (١/ ٤٧٢)، وشرح السنة للبربهاري (٣٤)، والتذكرة للقرطبي (١/ ٢٢٧)، والروح لابن القيم (٦٧)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٩٨)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ٢١١).

[٢] الفروع لابن مفلح (٢/ ٣٠١)، وأضواء البيان (٦/ ٤٢٢، ٤٢٥).

والراجح: ما سبق بيانُه بالجمعِ بين الآيات والأحاديث، وهو شبيهٌ بقولِ شيخ الإسلام ابن تيميَّة وابنِ القيم بالسماع في وقتٍ دون وقتٍ، وفي حالٍ دون حال. والله أعلم.

[٢١] درء التعارض عن أحاديث النهي عن الحلِفِ بغير الله والتي توهم الجوازَ.

وردت أحاديثُ في النهيِ عن الحَلِفِ بغير الله؛ لأنه من الشِّركِ المنهيِّ عنه.

فعن ابن عمرَ ﷺ، عن النبي ﷺ: «**أَلَا، إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**» [١].

عن ابنِ عمَرَ ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**»[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[١].

---

[١] أخرجه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦).

[٢] أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٦٠٧٣)، والترمذي (١٥٣٥)، وصححه الألباني وغيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد وردت أحاديثُ يُوهِمُ ظاهِرُها جوازَ الحلفِ بغير الله كالحلف بالآباء، فمن ذلك:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، مَن أحقُّ الناسِ بحُسن صحابتي؟ يعني: صحبتي، قال: «**أُمُّكَ**» قال: ثم من؟ قال: «**أُمُّكَ**»، قال: ثم من؟ قال: «**أُمُّكَ**»، قال: ثم من؟ قال: «**أَبُوكَ**»، وفي رواية قالَ له: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّ**»[٢].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أيُّ الصَّدَقَةِ أعْظَمُ أجْرًا؟ فَقالَ: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ، أنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ البَقَاءَ، وَلَا تُمْهِلَ حتَّى إذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كانَ لِفُلَانٍ**»[٣].

---

[١] أخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (١٦٤٧).

[٢] أخرجه مسلم (٢٥٤٨).

[٣] أخرجه مسلم (١٠٣٢).

وعن طلحة بن عبيد الله، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ من أهل نجدٍ ثائرُ الرأسِ يُسمَعُ دَوِيُّ صوتِه...، فقال رسول الله ﷺ: «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**»[1].

فهل يُفهَمُ من قوله ﷺ: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ**»، ومن قوله: «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**»: جوازُ الحلفِ بالآباء؟

الجواب على ذلك:

أن قولَه: «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ**»، و«**نَعَمْ وَأَبِيكَ**» هي كلمةٌ تجري على لسان العرب من غير أن يُقصَدَ بها الحلفُ، كما جرى على لسانهم كلماتٌ لا تُقصَدُ لذاتها ولا لمعانيها، كقولهم: «عَقْرى» و«حَلْقَى» و«تَربتْ يَمينُك» و«ثَكِلَتْك أمُّك»، وكلغْوِ اليمينِ المعفُوِّ عنه، فيقولون: لا والله، بلى والله، من غير قصد يمين.

وكلمةُ: «عَقْرَى»؛ أي: عقَرَها الله وأصابَها بعَقْرٍ في جسدها، فظاهِرُها دعاءٌ؛ ولكن لا يُقصَدُ بها الدعاءُ؛ بل الإنكارُ أو التعجبُ ونحوُه.

وكذلك كلمة: «حَلْقَى»؛ أي: حلقها الله؛ أي: أصابها اللهُ بالوجع في حلقها؛ ولكن لا يُقصَدُ بها الدعاءُ؛ ولكن الإنكارُ والتعجبُ ونحوُه.

---

[1] أخرجه البخاري(٤٦)، ومسلم(١١).

وكلمة: «تربَتْ يمينُك»؛ أي: لصِقت يدُك بالتراب من شدَّة الفقر، فهي كلمةٌ تجري على اللسانِ لا يُرادُ منها الدعاءُ بالفقر.

وكلمة: «ثَكِلَتْك أمُّك»؛ أي: عدِمَتك وفقَدتك، ولا تُقصَدُ لذاتِها، وإنما للتعجب ونحوِه[١]؛ وهذا ما رجَّحَه الإمام النوويُّ، وابنُ حجر، والبَغَوي، والبيهقيُّ، والخطابي، والقرطبي، وغيرهم.

والعربُ قد تقول ذلك «أفلح وأبيه»، «نعَمْ وَأبيكَ» على سبيل تأكيد الكلام وتقويتِه دون القسَم، أو على سبيل التعجب.

ثم بعد ذلك جاء النهيُ صريحًا عن الحلف بغير الله تعالى، فكان ناسخًا لمثل هذه العبارات، وهذا ما رجَّحه الإمام الطحاويُّ، والماوردي، والسبكي، وقوَّاه الحافظُ ابنُ حجرٍ، وغيرهم[٢].

قال ابن عبد البر: وهذه لفظةٌ إن صحَّت فهي منسوخةٌ[٣].

---

[١] انظر: شرح السنة للبغوي (١٠/ ٦)، والمفهم للقرطبي (١/ ١٦٠)، شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ٢٨٢)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٠٨)، ومعالم السنن (١/ ١٠٥).

[٢] انظر: مشكِل الآثار (١/ ٢٤٤)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٣٤)، والفتح (١/ ١٠٨).

[٣] انظر: التمهيد (١٦/ ١٥٨).

وقال ابن قُدامة: ثم لو ثبت «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ**» فالظاهرُ أن النهيَ بعده[١].

إضافةً إلى: أن بعضَ أهل العلم ضعَّفَ لفظة: «**أفلَحَ وَأبِيهِ إِنْ صَدَقَ**»، كابن عبد البَرِّ[٢] ؛ لأن أكثرَ الرُّواةِ رووا الحديثَ بلفظ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»، وأن الذي رواه بلفظة: «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ**» إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، فلعل الوهَمَ جاء منه.

ولفظة: «**وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّ**» تدور على شريك بن عبد الله القاضي، وقد رواه هو أيضًا بلفظ: «**وَاللهِ لَتُنَبَّأَنَّ**»، وقد قال الحافظُ عن شريك: صدوقٌ يخطئ كثيرًا[٣].

وهذا الذي ورد في حديث بِرِّ الوالدين، وأما حديثُ «**أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا**»: فقد انفرد محمدُ بنُ فُضَيل في إحدى رواياته للحديث بهذا اللفظ: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّ**»، فالوهَمُ جاء منه[٤].

---

[١] انظر: المغني (١١/ ١٦٣).

[٢] انظر: التمهيد (١٤/ ٣٦٧).

[٣] انظر: تقريب التهذيب (١/ ٤١٧).

[٤] انظر: أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين د/ سليمان بن محمد الدبيجي (ص٢٢٦-٢٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٢٢] هل الله تعالى يحِلُّ في المخلوقِ، فيمرَضُ ويأكُلُ ويشرَبُ؟

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي قَالَ: يَا رَبِّ كَيفَ أَعُودُكَ وَأنتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمتَ أَنَّ عَبدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدتَّهُ لَوَجَدتَّنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ، استَطعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيفَ أُطْعِمُكَ وَأنتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدتَّ ذَلِكَ عِندِي، يَا ابنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدتَّ ذَلِكَ عِندِي[١].

احتج غلاةُ الصوفية بهذا الحديثِ على الحلولِ والاتحاد؛ أي: اعتقاد أن الربَّ هو العبدُ حقيقةً؛ أي: أن الربَّ يحِلُّ في العبد ويتحِدُ به.

والحلولُ والاتحاد أربعة أقسام:

---

[١] أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

الأول: هو الحلولُ الخاصُّ؛ لاعتقاد النَّسطورية من النصارى بحلول اللاهوت في الناسُوت، كحلول الماء في الإناء، وغلاةُ الرافضة الذين يقولون: إن اللهَ حلَّ في عليِّ بنِ أبي طالبٍ وأئمةِ أهلِ البيت، وغلاةُ الصوفية يقولون بحلولِ الله في الأولياءِ ومَن يعتقدون فيهم الولايةَ أو في بعضِهم كالحلَّاج وغيرِه.

الثاني: هو الاتحادُ الخاصُّ؛ لاعتقاد اليَعقوبية من النصارى أن اللاهوتَ والناسوتَ اختلطا وامتزجا كاختلاطِ اللبن بالماء، وهو قولُ من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين للإسلام.

الثالث: الحلولُ العامُّ؛ وهو قولُ الجهمية القائلين بأن اللهَ في كلِّ مكان، ويتمسَّكون ببعض نصوص القرآن، ويفهمونها بفهمهم السقيم، كقوله تعالى: {وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ...} [الأنعام:٣]، وقوله: {وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ...} [الحديد:٤]، علمًا بأن معنى قوله تعالى: {وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ...}؛ أي: هو إلهُ أهلِ السموات وأهلِ الأرض، هو المعبودُ وحدَه في السمواتِ وفي الأرض، وقوله: {وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ}؛ أي: معكم بالمعيَّةِ العامَّةِ معيَّةِ العلمِ والإحاطة، يراكم ويسمعُكم، ويعلَمُ أحوالَكم، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمورِكم.

كما هو فهمُ النبي ﷺ والصحابة وأهل الإسلام.

الرابع: الاتحادُ العامُّ؛ وهو قول غُلاةِ المَلاحدةِ الذين يزعمون أن اللهَ عينُ وجودِ الكائنات، وهؤلاء أكفرُ من اليهودِ والنصارى من وجهين:

الأول: من جهة أن أولئك قالوا: إن الربَّ يتحدُ بعبدِه الذي قرَّبَه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون: ما زال الربُّ هو العبدَ وغيرَه من المخلوقات، ليس هو غيره (العبد رب والرب عبد).

الثاني: من جهة أن أولئك خَصُّوا ذلك بمَن عظَّموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك ساريًا في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قد قال: {لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ} [المائدة:١٧]، فكيف بمَن قال: إن اللهَ هو الكفارُ والمنافقون والصبيانُ والمجانين والأنجاس والأنتان وكلُّ شيء؟

وإذا كان اللهُ قد رد قولَ اليهودِ والنصارى لما قالوا: {نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ}، وقال لهم: {قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ

خَلَقَ}، فكيف بمَن يزعمُ أن اليهودَ والنصارى هم أعيانُ وجودِ الربِّ الخالقِ، ليسوا غيرَه ولا سواه[١]؟!

فأخذ غُلاةُ الصوفيةِ من قوله: «مَرِضْتُ، اسْتطعَمْتُك، استَسْقَيْتُك» دليلًا على أن الربَّ هو العبد لما أضاف المرضَ والاستطعامَ والاستسقاءَ إلى نفسه، تعالى الله عن قولهم علُوًّا كبيرًا!

وهذا احتجاجٌ باطلٌ، يدل على فسادٍ في العقيدة، وفسادٍ في العقل، وانحراف في الفطرة، وقصور في الفهم، فألفاظُ الحديث تردُّ قولَهم وفهمَهم العقيمَ السقيمَ، بأن الله تعالى نفسَه لا يمرَضُ ولا يأكُلُ ولا يشرَبُ، وإنما الذي مرض هو العبدُ، والذي يأكل ويشرب ويطلب الطعامَ والشرابَ هو العبد، كما دل الحديثُ على أن الربَّ ليس هو العبدَ، ولا صفتُه هي صفتَه، ولا فعلُه هو فعلَه[٢].

---

[١] انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٧٣-١٧١)، والفَرق بين الفِرَق للبغدادي (ص٢٢٨).

[٢] انظر: درءُ التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٣٥)، والاستغاثة في الرد على البكري (١/ ٢١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ الله تعالى في الحديث: «**أَمَا عَلِمتَ أَنَّ عَبدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَم تَعُدهُ**»، فالذي يمرضُ هو العبد، والذي لم يعُدْه هو عبدٌ مثلُه.

«**قَالَ: أَمَا عَلِمتَ أَنَّهُ استَطعَمَكَ عَبدِي فُلَانٌ فَلَم تُطعِمهُ**»: فالذي طلب الطعامَ هو عبدٌ، والذي لم يُطعِمْه هو عبدٌ مثلُه.

«**قَالَ: استَسقَاكَ عَبدِي فُلَانٌ فَلَم تَسقِهِ**»: فالذي طلب السُّقْيا عبدٌ، والذي امتنع عن سَقْيِه عبدٌ مثلُه.

وهذا كقوله تعالى: {مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١} [الحديد:١١]، وقوله: {إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ} [التغابن:١٧]، والمرادُ الصدقةُ على عباد الله تعالى.

قال تعالى: «**أَمَا عَلِمتَ أَنَّكَ لَو عُدتَهُ لَوَجَدتَنِي عِندَهُ**»؛ أي: بالأجر والثواب، ولم يقل: لوجدتني إياه.

وقال: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدتَّ ذَلِكَ عِندِي**» بالأجر والثواب، ولم يقل: لوجدتني أكلته.

كما أن الحديثَ فرَّق وميَّز بين العابدِ والمعبود، والخالقِ والمخلوق، والربِّ والمربوب، وهذا نقضٌ صريحٌ لعقيدة الحلول والاتحاد.

وعقيدةُ الحلولِ والاتحادِ كفرٌ صريحٌ، يجِبُ تنزيهُ الله تعالى عنها، فالربُّ ربٌّ، والعبدُ عبدٌ، وليس في ذات الله شيءٌ من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته[١].

[١] انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٣٩١)(١١/ ٧٤-٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٢٣] درء التعارض عن أحاديث الرُّقْية:

فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه رقى نفسَه، ورقاه غيرُه، كجبريلَ وعائشةَ، وأنه أمر بالرُّقية، وأقرَّ فاعِلَها بالأدعية والأذكارِ المشروعة.

وأيضًا ورد ما يُوهِمُ كراهَتَها عند بعض الناس، وهذا ما نفصِّله باختصارٍ:

أولًا: الأحاديثُ التي تفيدُ جوازَ الرُّقية ومشروعيتها

* عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: أمَرَنِي رَسولُ اللهِ ﷺ- أوْ أمرَ- أنْ يُسْتَرْقَى مِنَ العَيْنِ[١].

* رخَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ في الرُّقْيةِ، مِن كلِّ ذي حُمَةٍ[٢].

الحُمَةُ: هي السُّمُّ، كلسعةِ العقربِ ولدغةِ الحيَّة ونحوِ ذلك.

* عن أم سلمةَ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ رَأى في بَيْتِها جارِيَةً في وَجْهِها سَفْعَةٌ، فقالَ: «**اسْتَرْقُوا لَها؛ فإنَّ بها النَّظْرَةَ**»[٣].

والسَّفعةُ: كاللسعة في الوجه، تُحدِثُ تغيرًا في لونه، وهي من عينِ الجانِّ، وهذا أمرٌ من النبي ﷺ ورخصةٌ في الرُّقية من العين، ومن لدغةِ كلِّ ذي سُمٍّ.

---

[١] أخرجه البخاري (٥٤٠٦)، ومسلم (٢١٩٥).

[٢] أخرجه البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٢١٩٣).

[٣] أخرجه البخاري (٥٤٠٧)، ومسلم (٢١٩٧).

* وقد ورد في حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ: أنه لما رقى اللديغَ بفاتحة الكتاب فبرئ أقرَّه النبيُّ ﷺ على الرُّقيةِ وعلى أخذ العوضِ عنها، فَقالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟**»، ثم قال: «**قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**». فَضَحِكَ رَسولُ اللهِ ﷺ [١].

* وعن أنسٍ ﷺ قال: رخَّص رسولُ الله ﷺ في الرُّقية من العينِ والحُمَةِ والنَّملةِ[٢].

والنَّمْلة: قروحٌ تخرُجُ من الجنب.

ويوجد سوى ذلك أحاديثُ كثيرةٌ صحيحةٌ في رقية النبيِّ ﷺ لنفسِه ولغيرِه، ورقيةِ غيره له، وأمرِه بنفع المسلم لأخيه المسلم بالرقية.

ثانيًا: الأحاديثُ التي يُوهِمُ ظاهرُها كراهيةَ الرُّقية

حَدَّثَنا ابنُ عبَّاسٍ ﷺ، عَنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النبيَّ ومعهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي**

---

[١] أخرجه البخاري (٢١٥٩ـ٥٤٠٤)، ومسلم (٢٢٠١).

[٢] أخرجه مسلم (٢١٩٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، ولَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخاضَ النَّاسُ في أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ، فقالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسولَ اللهِ ﷺ، وقالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإسْلامِ ولَمْ يُشْرِكُوا باللهِ، وذَكَرُوا أشْياءَ فَخَرَجَ عليهم رَسولُ اللهِ ﷺ، فقالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فأخْبَرُوهُ، فقالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» [١].

ففهِمَ البعضُ من قولِه ﷺ في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ الذين لا يسترقون: أن الرُّقيةَ مكروهةٌ؛ لأنها تكون سببًا في حرمان المسلم من دخول الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وتمنَعُه هذه الفضيلةَ.

---

[١] أخرجه البخاري (٥٤٢٠)، ومسلم (٢٢٠).

والجواب على هذا الإشكال:

ليس هناك أدنى تعارضٍ بين أحاديثِ الأمر والإذن بالرقية قوليًّا وعمليًّا، وبين حديث الذين لا يسترقون؛ وذلك لأن قولَه: «**لَا يَسْتَرْقُونَ**» صيغةٌ فيها معنى الطلب؛ أي: لا يطلبون من غيرهم أن يرقِيَهم، لأن وزن: «استفعل» بمعنى طلب الفعل، مثل «استغفر»؛ أي: طلب المغفرة[١].

ونظيرُ ذلك ما ورد في الحديث القدسي الشريف أن الله يقول في القيامة: «**يَا ابنَ آدَمَ، استَطعَمتُكَ فَلَم تُطعِمنِي! قَالَ: يَا رَبِّ! وَكَيفَ أُطعِمُكَ وَأنتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمتَ أَنَّهُ استَطعَمَكَ عَبدِي فُلَانٌ فَلَم تُطعِمهُ، أَمَا عَلِمتَ أَنَّكَ لَو أطعَمتَهُ لَوَجَدتَّ ذَلِكَ عِندِي**»؛ أي: طلَبَ منك الطعامَ، ومثلُه: «**يَسْتَرْقُونَ**»؛ أي: يطلبون الرقيةَ من غيرهم، «**يَا ابنَ آدَمَ استَسقَيتُكَ فَلَم تَسقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ! كَيفَ أسقِيكَ وَأنتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ ! قَالَ: استَسقَاكَ عَبدِي فُلَانٌ فَلَم تَسقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَو سَقَيتَهُ وَجَدتَ ذَلِكَ عِندِي أى طلب منك السقيا**»[٢].

---

[١] بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ١٧٢)، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ٩٧).

[٢] أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

ـ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه رقى نفسه، ورقى غيرَه، ورقاه غيرُه، ولم يثبُتْ أنه كان يسترقي؛ أي: يطلُبُ الرُّقيةَ من أحدٍ، وخيرُ الهَدْيِ وأكمَلُه هديُ النبي محمد ﷺ.

وقد سُئِل النبي ﷺ عن الرُّقية؟ فقال: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**»[١]، فإذا رقى الإنسانُ غيرَه فهذا مِن الإحسان، وقد فعَلَه رسولُ الله ﷺ، وهو مِن نفْعِ المسلم لأخيه المسلم.

لكن الأولى بالمسلم ألَّا يطلُبَ الرقية من غيره، وهذا من أعلى مقامات التوكُّلِ على الله تعالى، وبه ينالُ المنزلةَ العليةَ بأن يكونَ ممن يدخلون الجنةَ بغير حسابٍ ولا عذاب.

فهناك فرقٌ بين الراقي والمسترقي، والراقي محسِنٌ نافع، والمسترقي سائلٌ مستعطٍ ملتفِتٌ إلى غير الله بقلبه، فحُرِم المنزلةَ العليَّة[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (٢١٩٩).

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٨٢ـ ١/ ٣٢٨)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٣/ ٢٧٩).

وكذلك يدخل في الرُّقى المحرَّمة والمنهي عنها- بل وهي من الشِّرك بالله تعالى-: الرُّقى بالتعوذات والشعوذات السِّحرية والكفرية، كما يفعل السَّحَرةُ والعرَّافون، يرقون بكلامٍ غيرِ مفهوم، أو بكلامٍ غيرِ عربيٍّ، أو بطلاسِمَ وتعوذاتٍ شيطانية، كالتعازيم والأقسام، والتي فيها دعاءُ غيرِ الله واستغاثةٌ واستعانةٌ بغير الله، كالتي فيها استعاذةٌ بأسماءِ الملائكةِ أو الأنبياءِ أو الأولياءِ أو الجِنِّ، أو كتابة الأحجبة بحروفٍ وطلاسِمَ، أو بوضع حبوب معينة للحرز أو الشفاء أو لدفع شر وبلاء، فكل هذا اعتقادٌ في غير الله، واستعانةٌ بغير الله، وسؤالُ غير الله، وكل ذلك من الشرك؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[1].

ومن هنا وضع العلماء شروطًا للرقية المشروعة، وهي:

١ـ أن تكونَ بكلام الله وأسمائه وصفاته وكلام رسوله ﷺ.

٢ـ أن تكونَ باللفظ العربي، أو بما يُعرَفُ معناه من غير العربية بالأدعية المشروعة.

---

[1] أخرجه أبو داود (٣٨٧٧)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦١٥)، وصححه الألباني والشيخ أحمد شاكر.

٣ـ أن يعتقِدَ أن الرقيةَ لا تؤثِّرُ بذاتِها، وإنما بقدَرِ الله ومشيئته.

والخلاصة: أن الرقيةَ بالكتاب والسُّنة والأدعيةِ المشروعة مع الاعتقاد في الله وحده مشروعةٌ ومندوبٌ إليها؛ ولكن يكره طلبُها من الغير، وتحرُمُ الرُّقيةُ بما هو شركٌ وكفرٌ واستعاذةٌ بغير الله واعتقادٌ في غير الله تعالى.

[٢٤] معنى حديث: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّهَا»، «رَبَّتَهَا»، «بَعْلَهَا»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كانَ النبيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقالَ: ما الإيمَانُ؟ قالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ**». قالَ: ما الإِسْلَامُ؟ قالَ: «**الإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**». قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قالَ: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا**»[١].

وفي رواية للبخاري: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**»، وفي رواية لمسلم: «**إِذَا وَلَدَتْ الأَمَةُ بَعْلَهَا**»[٢].

قال ابن الأثير: الربُّ يُطلَقُ على المالك، والسيدِ، المدبِّرِ، والمربِّي، والقيِّم والمُنعِم، ولا يطلَقُ غيرَ مضافٍ إلا على الله تعالى[٣].

---

[١] أخرجه البخاري (٥٠/ ٤٤٩٦)، ومسلم (٩-١٠).

[٢] أخرجه مسلم (٩-١٠).

[٣] النهاية، لابن الأثير (٢/ ١٧٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال النووي: البعلُ هو المالك أو السيد، فيكون بمعنى: «رَبَّهَا».

وقال أهلُ اللغةِ: بَعلُ الشيءِ: ربُّه ومالِكُه، وقال ابن عباس والمفسرون في قوله تعالى: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا...} [الصافات:١٢٥]؛ أي: ربًّا.

وقيل: المراد بالبعل في الحديث: الزوج، إلا أن الأولَ أظهَرُ؛ لأنه اذا أمكن حملُ الروايتين في القضية الواحدة على معنًى واحدٍ كان أولى. والله أعلم [١].

ولذلك قال الحافظ ابن حجر: قيل: إن المراد بالبعل: المالِك، وهو أولى لتتفق الروايات[٢]. وهذا هو قول أكثرِ العلماء واللغويين[٣].

٢ـ أقوالُ أهلِ العلم في معنى الحديث:

لأهل العلم عدةُ أفهام في هذا الحديث، نوردها على النحو الآتي:

١ـ أن تلِدَ الأمةُ لسيدها، فيكون ولدُها بمنزلة ربِّها وسيدها؛ لأنه ولدُ سيِّدِها، وهو كأبيه في الحسَب.

---

[١] انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ٢٧٣).

[٢] انظر: فتح الباري (١/ ١٢٢).

[٣] د/ الدبيجي (ص٦٠٤ـ٦٠٥).

وعلى هذا يكونُ من أشراط الساعة كثرةُ السراريِّ وأولادِهنَّ؛ وذلك لاتساع رقعة الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الكفر.

وهذا قول جماعةٍ من أهل العلم، كالنووي، وابن رجب، وابن الصلاح، وابن الأثير، وابن الجوزي، وأبى عبيد، وابن باز، وأكثر العلماء[١].

٢ـ أن هذا إخبار عن كثرة بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان، فربما اشترى الولدُ أُمَّه وهو لا يعلم، لكثرة تداول المُلَّاك لها، فيكون يومئذٍ ربَّها وسيدَها وبعلَها وهو لا يدري [٢].

٣ـ أن المراد كثرةُ العقوق في الأولاد للأمهات، فيعامل الولدُ أمَّه معاملةَ السيد لأمَتِه من الاستخدام والإهانة بالسب والضرب والتسخير وغير ذلك [٣].

---

[١] انظر: رياض الصالحين للنووي (ص٦٩)، ومجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٤٩٦)، والنهاية لابن الأثير (٢/ ١٧٩)، وأعلام الحديث للخطابي (١/ ١٨٢)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١/ ٢٧٣)، وجامع العلوم والحكم (١/ ١٣٦).

[٢] المفهم (١/ ١٤٨)، الفتح (١/ ١٢٢).

[٣] فتح الباري لابن رجب (١/ ٢١٨)، فتح الباري لابن حجر(١/ ١٢٢)، المفهم (١/ ٢٤٨)، التذكرة (٢/ ٤٩٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا القول رجَّحه الحافظ ابن حجر، خاصةً أنه في آخر الزمان يُقبَض العلمُ، ويفشو الجهلَ، ويكثُرُ الفسوقُ والاستهانةُ بالأحكام الشرعية، وهو مناسب للعلامة الأخرى: أن تصير الحفاةُ ملوكَ الأرض[١].

والذي يظهر رجحانه- والعلم عند الله تعالى- هو عودةُ النصر والتمكين للإسلام والمسلمين، وعودةُ الجهادِ والفتوحات والسبي ومِلك اليمين، فتلِدُ الأَمَةُ مِن سيِّدها، فيكون ولدُه منها سيدَها وربَّها؛ لأنه بمنزلةِ أبيه في الحسب، فولدُ السيدِ بمنزلة السيد.

وفي ذلك بشارةٌ لعودةِ النصر والتمكين للإسلام والمسلمين، ونسألُ اللهَ ﷻ أن يرُدَّ المسلمين إلى دينهم ردًّا جميلًا.

[١] الفتح لابن حجر (١/ ١٢٢)، الفتح لابن رجب (١/ ٢١٩)، المفهم للقرطبي (١/ ١٤٨).

[٢٥] هل الدجال يدخل مكة أم لا؟

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقالَ: «**إنَّ اللهَ لَيْسَ بأعْوَرَ، ألَا إنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، وَأرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ في المَنَامِ، فَإذَا رَجُلٌ آدَمُ، كَأحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، واضِعًا يَدَيْهِ علَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وهو يَطُوفُ بالبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقالوا: هذا المَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ رَأيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أعْوَرَ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأشْبَهِ مَن رَأيْتُ بابْنِ قَطَنٍ، واضِعًا يَدَيْهِ علَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بالبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَن هذا؟ قالوا: المَسِيحُ الدَّجَّالُ**[١].

فدل الحديثُ على أن النبيَّ ﷺ رأى الدجالَ في المنام يطوف حول الكعبة بمكة المكرمة، وقد ثبت عن أنَس عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلَّا مَكَّةَ والمَدينةَ، ولَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أنْقَابِهِمَا إلَّا عَلَيْهِ المَلائِكَةُ صَافِّينَ**

---

[١][١] أخرجه البخاري (٣٢٥٧ـ٣٢٥٦ـ٥٥٦٢ـ٦٥٩٨ـ٦٦٢٣ـ٦٧٠٩)، ومسلم (١٦٩ـ١٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تحْرُسُهما، فَيَنْزِلُ بالسَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللهُ مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ[١].

فهل هناك تعارض بين الحديثين؟

الجواب بعون الملك الوهاب: أنَّ رؤيا النبيِّ ﷺ للدجال يطوفُ بالبيت لا تُنافي ما ثبت من تحريمِ دخولِ مكةَ والمدينة عليه؛ لأنها رؤيا منامٍ، ورؤيا المنام لا يلزَمُ وقوعُها في الخارج كما كانت في الرؤيا؛ بل قد يكون لها تعبيرٌ وتأويلٌ يخالِفُ الظاهِرَ منها، كما ثبت ذلك في عدة أحاديثَ عن النبي ﷺ، ومن ذلك:

حديثُ ابنِ عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «بيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حتَّى إنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ في أظْفَارِي، ثُمَّ أعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ». قالوا: فَما أوَّلْتَهُ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «العِلْمَ»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ

---

[١] أخرجه البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (٢٩٤٣).

[٢] أخرجه البخاري (٨٢)، ومسلم (٢٣٩١).

عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قالوا: فَما أوَّلْتَ ذلكَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «**الدِّينَ**»[١].

فليس القميصُ في الرؤيا قميصًا على ظاهره.

وقال بعض أهل العلم: إن تحريمَ دخول الدَّجَّال مكةَ والمدينة إنما يكون في زمنِ فتنته وخروجه، وأما قبل ذلك فغيرُ ممتنعٍ [٢]، وهو قولٌ وجيه؛ ولكنَّ الأولَ أرجحُ وأولى. والله أعلم.

---

[١] أخرجه البخاري (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠).

[٢] فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٩٩)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٥٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٢٦] معنى تقارب الزمان كعَلَمٍ من أشراط الساعة:

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ- وهو القَتْلُ القَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ**»[١].

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يَتَقارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالجُمُعَةِ، وَالجُمُعَةُ كَاليَومِ، وَيَكُونَ اليَومُ كَالسَّاعةِ، وَتَكونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ**»[٢].

اختلفت أفهامُ العلماء في معنى تقارُبِ الزمان على النحو الآتي:

١ـ حملُ الحديث عن ظاهره، فيتقاربُ حقيقةً بنقص أيامِه ولياليه[٣].

٢ ـ أن المرادَ قربُه من الساعة ويومِ القيامة، وهو قول القاضي عياض والنووي[١].

---

[١] أخرجه البخاري (٩٨٩) (٦٧٠٤).

[٢] أخرجه أحمد (١٠٩٤٣)، والترمذي (٢٤٣٤)، وصححه ابن كثير والألباني.

[٣] معالم السنن للخطابي (٤/ ٣١٣)، التذكرة للقرطبي (٢/ ٣٦٤).

٣ـ أن المراد نزعُ البركة منه؛ بحيث يصير الانتفاعُ باليوم كالانتفاع بالساعة الواحدة منه، وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر، والعراقي، وابن الأثير، والخطَّابي[٢].

٤ـ أن هذا زمنُ المهدي؛ حيث العدلُ والبركة، فيستلذ الناسُ العيش فيه، فتمر أيامُه الجميلةُ سريعًا.

٥ـ تقاربُ أحوال أهلِه في قلة الدِّين وغَلَبةِ الفِسق، وهو قول القرطبي وابن بطال[٣].

٦ـ تقارب المدن والبلدان وقصِرُ زمن المسافة بسبب اختراع وسائل النقل والمواصلات والاتصالات والتواصل الاجتماعي والهاتف والإنترنت... إلى آخره، والتي قرَّبت البعيدَ، وهو قولُ ابنِ باز والتويجري وغيرِهما[٤].

---

[١] إكمال المعلم (٨/ ١٦٦)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٥/ ٤٦٣).

[٢] معالم السنن (٤/ ٣١٣)ـ النهاية لابن الأثير (١/ ٢٣٤) فتح الباري (١٣/ ١٦).

[٣] التذكرة للقرطبي (٢/ ٤٨١)، شرح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٣).

[٤] إتحاف الجماعة للتويجري (٢/ ١٩٥)، تعليق ابن باز على فتح الباري (٢/ ٥٢٢).

والراجح من ظاهر الحديث: أن الزمانَ يتقارب حسِّيًّا، فتمُرُّ السَّنةُ بسرعة كالشهر، والشهر كالجُمُعة، وهكذا مع ما حصل من تقارب الناس والبلدان والدول والأحداث بوسائل النقل والتواصل عبر الإنترنت والقمر الصناعي والهاتف والجوال وغير ذلك.

[٢٧] هل يجوزُ الاحتجاج بالقدر على ارتكاب المعاصي؟

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى؛ فَقَالَ له مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ؟! فَقَالَ له آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟!** فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**»، مَرَّتَيْنِ [١].

وفي رواية قال: «**أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي...**» [٢].

وفي رواية: «**أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟**». قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**»[٣].

الإشكال الوارد في هذا الحديث:

يتوهم بعضُهم أن المُحاجَّةَ التي حدَثتْ بين موسى وآدمَ كانت متوجهةً إلى المعصية، ولما كانت الحجَّةُ لآدمَ بإقرار الرسول فهِمَ بعضُ الناسِ جوازَ

---

[١] أخرجه البخاري (٣٢٢٨ـ٧٠٧٧)، ومسلم (٢٦٥٢).

[٢] أخرجه البخاري (٤٤٦١)، ومسلم (٢٦٥٢).

[٣] أخرجه مسلم (٢٦٥٢)، وأحمد (٨١٤٣)، والترمذي (٢٢١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية، وهنا يظهر الفرقُ بين فهمِ أهل السُّنة والجماعة وأهلِ البدعة والضلالة على النحو الآتي:

أولًا: مذهب أهل البِدعة من المعتزلة الجبرية والجَهمية ومَن وافقهم، وهم فيه على مذهبين:

الأول: منهم مَن ردَّ هذا الحديثَ وأنكره، كأبي عليٍّ الجُبَّائي رأس المعتزلة، وقالوا: لو صح هذا الحديثُ لبطلت النُّبوَّات، فإن القدرَ إذا كان حجةً على فعل المعاصي بطل الأمرُ والنهيُ، وارتفع الذمُّ والعِقابُ عمَّن عصى اللهَ تعالى [١].

الثاني: منهم من قَبِل الحديثَ محتجًّا به على فعل المعاصي، وجعلوا الحديثَ عمدةً لهم في سقوط الملام عن المخالفين لأمر الله ورسوله ﷺ، وهذا مذهب الجبرية ومن نحا نحوَهم من الصوفية [٢].

---

[١] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ٣٠٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (١/ ٧٩)، وشرح الطحاوية (١٣٦)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٥١٠).

[٢] انظر: فتاوى ابن تيمية (٨/ ٣٠٥)، والبداية والنهاية (١/ ٧٨)، وشفاء العليل لابن القيم (٢/ ٤٩-٥٠).

ثانيًا: أهل السُّنة والجماعة قبِلوا الحديثَ جملةً وتفصيلًا، وقطعوا بعدم جواز الاحتجاج بالقدر على فعل الذنوب والمعاصي؛ ولكنهم اختلفت أفهامُهم في تفسير هذا الحديث على النحو الآتي:

١ـ أنَّ اللَّومَ من موسى لآدمَ على المصيبة التي حصلت لآدَمَ وذريتِه بالنزول من الجنَّة إلى الأرض، وما فيها من المِحَن والبلايا بسبب الخطيئة؛ ولذلك قال له: «**أَنْتَ آدَمُ الَّذي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ الجَنَّةِ بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ**»، فاحتج آدمُ بالقدرِ على المصيبةِ لا على المعصية.

والقدرُ يُحتَجُّ به في المصائب دون المعائب، وهذا قولُ جماعةٍ من أهل السُّنة، كابن تيمية، وابن القيِّم، وابن كثير، وابن أبي العز، وابن رجب، وابن عثيمين، وغيرهم [(١)].

وذلك لأن موسى عليه السلام يعلمُ أنه بعد التوبة والمغفرةِ من الله لآدَمَ لا يبقى بعدها ملامٌ على الذنب، وآدمُ أعلَمُ بالله من أن يحتجَّ بالقدَرِ على الذنب.

---

(١) انظر: شفاء العليل (١/ ٥٦)، وشرح الطحاوية (١٣٥)، وتقريب التدمرية لابن عثيمين (١٠١/ ١٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو كان الاحتجاجُ بالقدَرِ على الذنب جائزًا لكان حجةً لإبليسَ وفرعونَ وكلِّ كافرٍ وعاصٍ، ولبطل الأمرُ والنهيُ والنبواتُ والرسالات، فالاحتجاج على المصيبة لا على الذنب، قال تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ} [الحديد:٢٢][١].

وقال سبحانه: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾} [التغابن:١١]، وقال النبي ﷺ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[٢].

٢ـ أنَّ اللَّومَ من موسى لآدمَ على المعصية لكونها سببَ المصيبة، وليس لكونها معصيةً، فاحتج آدمُ بالقدر على المعصية لكونه قد تاب منها، ومثلُ هذا لا محظورَ فيه؛ لقول آدم: «**تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟!**».

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ١٠٨)، والتدمرية (٢٣٠ـ ٢٣١)، ولطائف المعارف لابن رجب (ص٦٢).

[٢] أخرجه البخاري (٢٦٦٤).

وقد قال بهذا القول أيضًا ابنُ عثيمين وابن الوزير، وهو أحد قولَي ابن القيم[١].

أي: أن اللومَ إذا ارتفع بالتوبةِ النَّصوحِ وتركِ المعصية صحَّ الاحتجاجُ بالقدر، أما إذا كان متلبِّسًا بالمعصية فلا يجوزُ له الاحتجاجُ بالقدر[٢].

٣ـ أن هذا الاحتجاجَ بالقدر على المعصية خاصٌّ بآدَمَ، وليس لغيره ذلك، وهذا قولُ ابن عبد البر[٣]؛ وهو قول باطل؛ إذ لا دليلَ على التخصيص.

٤ـ أن لومَ موسى لآدمَ كان في غير دار التكليف بالدنيا؛ بل كان بعد الموت، فصارت الحجةُ لآدم، وإلا لو كانت وآدمُ في دار الدنيا لحجَّه موسى[٤].

وهذا كلامٌ باطل، فآدَمُ لم يتعرَّضْ للدار، وإنما تعرَّض للمصيبة، وأما اللومُ بعد الموت وفي القيامة فإن اللهَ يلومُ بعضَ خلقِه بعد موتهم وفي القيامة.

---

[١] انظر: تقريب التدمرية (١٠٢ـ١٠٣)، والروض الباسم (٢/ ٤٦٥).

[٢] شفاء العليل (١/ ٥٦)، تقريب التدمرية (١٠٣).

[٣] المفهم للقرطبي (٦/ ٦٦٨)، شرح النووي لصحيح مسلم (٦/ ٤٤١)، فتاوى ابن تيمية (٨/ ٣٠٥)، فتح الباري (١١/ ٥١٠)، البداية والنهاية (١/ ٧٨).

[٤] فتاوى ابن تيمية (٨/ ٣٠٥)، والبداية والنهاية (١/ ٧٨).

٥ـ أن آدم أبٌ، وموسى ابنٌ، وليس للابن أن يلومَ أباه، ولذا حجَّه آدَمُ كما يحَجُّ الرجلُ ابنَه[١].

وهذا القول يبعُدُ كلَّ البعد عن معنى الحديث؛ لأن حجةَ الله يجِبُ المصيرُ إليها، سواءٌ مع الأب أو الابن[٢]، ألا ترى إلى نبي اللهِ إبراهيم كيف أقام الحجةَ على أبيه، وقد زكَّاه اللهُ وأثنى عليه لذلك.

والذي يظهر رجحانُه هو القول الأول: أن الاحتجاجَ بالقدرِ من آدم على موسى عليهما السلام إنما كان على تقديرِ المعصيةِ، لا على ارتكابه للذنب، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «ليس لأحدٍ أن يحتجَّ بالقدَرِ على فعل الذنب باتفاق المسلمين وسائرِ أهل المِلَلِ وسائرِ العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولًا لأمكن كلَّ أحدٍ أن يفعَلَ ما يخطُرُ له من قتلِ النفوسِ، وأخْذِ الأموالِ، وسائرِ أنواع الفساد في الأرض، ويحتَجَّ بالقدر...، فالاحتجاجُ بالقدر معلومُ الفساد في بداية العقول»[٣].

---

[١] المرجع السابق

[٢] فتح الباري (١١/ ٥١١)ـ شفاء العليل (١/ ٤٩).

[٣] انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٩).

وأما ما ذهب إليه أهلُ البدع من المعتزلة بردِّ الحديثِ وتكذيبِه: فلا حجةَ في قولهم لفساد عقولهم، فإنهم كلما وجدوا حديثًا صحيحًا ولو متفقًا عليه لا ترتضيه عقولهم ردُّوه، وهذا هو عينُ الفساد.

وأما القدريةُ فمنهم الذين جعلوا الحديثَ حجةً على جوازِ الاحتجاج بالقدر على المعاصي، وهذا هدمٌ للشريعة ودعوات الرسل والحساب والعقاب والجزاء، ووصفٌ لله تعالى بالظلمِ وعدمِ العدل، تعالى اللهُ عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا! ولذلك:

١ـ أجمعت الأمَّةُ على بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي [١].

٢ـ أجمعت الأمَّةُ على جواز لوم العاصي ما لم يتُبْ [٢].

٣ـ أبطل اللهُ حُجَجَ المشركين المُحتَجِّين على شِركِهم ومعاصيهم بالقَدرِ وكَذَّبَهم، وقال سبحانه: {سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ

---

[١] انظر: مِنْهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣/ ٥٥).

[٢] انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩} [الأنعام:١٤٨-١٤٩].

٤ـ أرسل الله الرسلَ وأنزل الكتبَ لإقامة الحُجَّةِ على الخلق، فقال: {رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ... ١٦٥} [النساء:١٦٥]، فلو كان الاحتجاجُ بالقدر على فعل المعاصي سائغًا وجائزًا لَما كان هناك حاجةٌ إلى إرسال الرُّسُل، وإنزال الكتب، وتبليغ الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتشريع الجهاد؛ لأنهم إنما أُرسِلوا لأجل إقامة الحُجَّة على الناس[1]؛ ولذلك قال الله تعالى عن المُعذَّبين في النار: {كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١} [الملك:٨-١١].

---

[1] انظر: شرح ابن عثيمين لمعة الاعتقاد (ص٩٤)، والتدمرية (ص١٠٠).

٥ـ أمَرَ النبيُّ ﷺ الأمةَ بالجِدِّ والاجتهاد في العمل الصالح، ونهاهم عن تركه؛ اتكالًا على ما سبق به الكتاب، فقال: «**مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ**». قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أفلا نَتَّكِلُ علَى كِتَابِنَا، ونَدَعُ العَمَلَ؟ قالَ: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦...} الآيَةَ [الليل:٥-٦] [(١)].

٦ـ القدرُ سرٌّ مكتومٌ لا يعلَمُه أحدٌ من الخلق إلا بعد وقوعه، فكيف يصحُّ للعاصي أن يحتجَّ به على معصيته، وهو قد فعلها حرًّا مختارًا [(٢)].

٧ـ الذي يحتجُّ بالقدرِ على معصيته لو تعدَّى عليه إنسانٌ في نفسه أو ماله أو عرضه واحتج عليه في ذلك بالقدر لم يَقبَلْ منه، وهذا غايةُ التناقضِ الدالِّ على فسادِ هذا الاحتجاج؛ لأنه يحتجُّ بالقدر لنفسه، ولا يراه حجةً لغيره.

٨ـ آدم عليه السلام كما عصى وأكل من الشجرة تاب إلى اللهِ، وأقرَّ بذنبه قائلًا: {رَبَّنَا

[(١)] أخرجه البخاري (٤٦٦٦)، ومسلم (٢٦٤٧).

[(٢)] انظر: التدمرية لابن عثيمين (ص١٠٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ظَلَمْنَآ أنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾} [الأعراف:٢٣]، ولم يحتجَّ بالقدر على المعصيةِ، بخلاف إبليسَ الملعون، فإنه احتجَّ بالقدَرِ على كفرِه: {قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾} [الحجر:٣٩]، فمَن تاب ولم يحتجَّ بالقدَرِ أشبَه أباه آدم، ومَن أصرَّ واحتجَّ بالقدَرِ أشبَه إبليسَ [١].

٩ـ القدَرُ يُحتَجُّ به عندَ المصائب لا عندَ المعائب، قال اللهُ لنبيِّه ﷺ: {فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ... ﴿٥٥﴾} [غافر:٥٥]، فالصبرُ على الابتلاءاتِ التي يُقدِّرُها اللهُ على العبد، والتوبةُ والاستغفار من تقصير العبد في جنب الله؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، ولَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ اللهُ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[٢].

---

[١] انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ١٠٧).

[٢] أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

فيُحتَجُّ بالقدرِ في موضع المصيبةِ والبلاء، لا على ارتكاب المعاصي[١].

[٢٨] إزالةُ التعارض عن أحاديث العلاج بالكي:

قد وردت أحاديثُ تفيد مشروعيةَ الكيِّ، وأحاديثُ أخرى تفيدُ النهيَ عنه، فكيف يكون الجمعُ بينهما؟

أولًا: الأحاديث التي أثبتت مشروعيةَ الكَيِّ:

١ – عن جابر ﷺ قال: رُمِيَ سعدُ بنُ معاذ في أكحَلِه، فحسَمَه النبيُّ ﷺ بيده بمِشْقَص، ثم ورِمَتْ، فحَسَمَه الثانيةَ[٢].

الأكْحَل: عِرقٌ في وسط الزراع، والمِشْقَص: نصل السهم.

وفي هذا الحديث: أن النبيَّ ﷺ كوى سعدَ بنَ معاذ بنفسِه وبيده الشريفة مرتين، وهذا يدل على مشروعية الكي.

---

[١] شفاء العليل (١/ ٥٨).

[٢] أخرجه مسلم (٢٢٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢-عن جابر ﷺ قال: بعث رسولُ الله ﷺ إلى أُبَيٍّ بنِ كعبٍ طبيبًا، فقطع منه عرقًا، ثم كواه عليه[١].

والسببُ كما ورد في الروايةِ الأخرى عن جابر ﷺ قال: رُمِيَ أُبَيٌّ يومَ الأحزاب في أكحَلِه، فكواه رسولُ الله ﷺ[٢].

وهنا أمر النبي ﷺ الطبيبَ أن يكوي أُبيًّا، فدل على مشروعية الكي.

٣-وعن أنس ﷺ قال: كُوِيتُ من ذات الجَنب، ورسول الله ﷺ حيٌّ[٣]، وهذا إقرارٌ من النبي ﷺ بمشروعية الكي.

ثانيًا: الأحاديثُ التي تفيد كراهيةَ الكي والنهي عنه

١-عن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ**»[٤].

---

[١] أخرجه أحمد (١٤٣٧٩).

[٢] أخرجه مسلم (٢٢٠٧).

[٣] أخرجه البخاري (٥٣٨٩).

[٤] أخرجه البخاري (٥٦٨٠).

فدل ذلك على النهي عن الكيِّ؛ مع أن فيه شفاءً ونفعًا.

٢- وعن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ- أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ- خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**»[1].

وهنا دل الحديثُ على كراهيته ﷺ للكي.

٣- حديث ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: « **عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ**

[1] أخرجه البخاري (٥٣٧٥-٥٣٥٩)، ومسلم (٢٢٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[١].

وفيه كراهيةُ الكيِّ؛ لأن الذين يَكتوون يُحرَمون هذه الفضيلةَ العظيمةَ، وهي دخولُ الجنَّةِ بغيرِ حسابٍ.

والجواب على ذلك: أنه ليس هناك ثمَّةَ تعارضٌ بين هذه الأحاديث، بل كلٌّ يُوضَعُ في موضعه.

فالأصلُ جوازُ الكيِّ إذا دعَتِ الضرورةُ إليه، بأن كان هو الدواءَ الوحيدَ للعلاج والشِّفاء من الداء، وذلك حتى لا يعرِّضَ الإنسانُ نفسه للهلاك، قال تعالى: { وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ... ﴿١٩٥﴾} [البقرة:١٩٥]، وقال: {وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾} [النساء:٢٩]، وقال النبي ﷺ: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا المَوْتَ وَالهَرَمَ**»[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٥٤٢٠)، ومسلم (٢٢٠).

[٢] أخرجه أحمد (١٨٧٤٦).

وعلى هذا يُحمَل كيُّ النبيِّ ﷺ لسعد بن معاذ وأُبيِّ بن كعبٍ وأنسِ بن مالك.

والاستثناءُ: كراهيةُ التداوي بالكيِّ إذا لم تدْعُ إليه ضرورةٌ، أو إذا وُضِع في غير موضعِه، وعلى هذا تُحمَلُ الأحاديثُ التي ورد فيها النهيُ عن الكي وكراهيته [١]، قال النبيُّ ﷺ: «**لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**»[٢]، وقال: «**لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**»[٣].

قال المناوي: الكيُّ لا يُترَكُ مطلقًا، ولا يُستعمَلُ مطلقًا؛ بل عند تعيينه طريقًا للشفاء، وعدم قيامِ غيرِه مقامَه، مع مصاحبةِ اعتقادِ أن الشفاءَ بإذن الله تعالى والتوكل عليه[٤].

---

[١] تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٣٠٦)، معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٠٢)، والمفهم (٥/ ٥٩٧)، ونيل الأوطار للشوكاني (٨/ ٢٣٥).

[٢] أخرجه أحمد (١٦٠٣٤).

[٣] أخرجه البخاري (٣٠١٧).

[٤] فيض القدير (٦/ ٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٢٩] هل هناك تعارض بين إياس الشيطان أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، وبين وقوع الشرك فيها مرة أخرى؟

عن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» [١].

دل الحديثُ على انتشارِ التوحيد في الجزيرة، وأن الشيطانَ يئسَ من عبادةِ المُصلِّين له بعدَ توحيدهم.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ**»[٢].

وذو الخَلَصة: صنمٌ (ضريح) كانت دَوسٌ تعبُدُه في الجاهلية.

وعن عائشة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالعُزَّى**» [٣].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٨١٣).

[٢] أخرجه البخاري (٦٦٩٩)، ومسلم (٢٩٠٦).

[٣] أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

فدلَّ حديث أبي هريرة وعائشةَ ﵄ على أن الشِّركَ سيقعُ مرةً أخرى في الجزيرةِ بعد انتشارِ التوحيد فيها، فهل هناك تعارضٌ بين حديث جابر وغيره؟ هذا ما سنبيِّنُه في المسائل الآتية:

أولًا: المرادُ بعبادة الشيطان: طاعتُه في أيِّ نوعٍ من أنواعِ الكفر والشِّرك والبدعة والمعصية، قال تعالى: {۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠} [يس:٦٠]؛ أي: لا تطيعوه، فطاعتُه عبادتُه.

وقال إبراهيمُ الخليل ﵇ لأبيه في نهيِه عن عبادة الأصنام: {يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ...٤٤} [مريم:٤٤]، فجعل عبادةَ الأصنام عبادةً للشيطان؛ لأنه الآمِرُ بها، والداعي إليها.

ثانيًا: أقوالُ أهل العلم وأفهامُهم لحديث جابر بن عبد الله في يأس الشيطان:

هناك عدة أفهامٍ وأقوالٍ ذكرها العلماءُ في هذا الحديث، نذكرها على النحو الآتي:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- ذهب الحافظ ابنُ رجبٍ وغيرُه إلى أن المعنى: أن الشيطانَ يئِس أن يجتمِعَ أهلُ الجزيرةِ على الكفر مرَّةً أخرى، فقد يقعُ من بعضِهم؛ ولكن لا يجتمعون عليه [١].

٢- ذهب العلَّامةُ ابنُ عثيمين إلى أن المعنى: أن النبيَّ ﷺ أخبر عما وقع في نفس الشيطانِ من اليأسِ عندما رأى الفتوحَ ودخولَ الناس في دينِ الله أفواجًا، ولا يلزَمُ من ذلك عدمُ وقوعِ الشرك مرَّةً أخرى [٢].

٣ - ذهب العلَّامة الألوسي إلى: أن الشيطانَ لا يطمَعُ أن يعبُدَه المؤمنون في جزيرة العرب، وله قولٌ آخَرُ؛ وهو أن هذا خاصٌّ بخير القرون، وهم الصحابة وأن (أل) للعهد؛ بدليل قوله: «**وَلَكِنْ بِالتَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»، كما وقع بين عليٍّ ومعاويةَ رضي الله عنهما في وقعة صِفِّين والجمل [٣].

٤-ذهب القرطبيُّ أبو العباس أن المعنى: أن المسلمين في الجزيرة ما داموا مقيمين للصَّلاة، محافظين عليها؛ لم يتمكَّنْ من ردِّهم للشِّرك، وإن لم يحافظوا

---

[١] انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم (١٢/ ١١٦-٣٢).

[٢] القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٢١١).

[٣] دعاوى المناوئين (ص٢٢٤).

عليها كانوا عُرضةً للشِّركِ والبدعةِ حتى تضطرِبَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوْسٍ حولَ ذي الخَلَصةِ، وحتى تُعبَدَ اللاتُ والعُزَّى[١].

٥-ذهب عبد الله بن عليٍّ القصيمي إلى أن المعنى: أن الشيطانَ يئس أن يعبُدَه الناسُ هو نفسَه مباشرة، إلا أنه لم ييأس من عبادتِهم لغيرِه من المخلوقاتِ كالصالحين والأضرحة والقبور ونحوها[٢].

والذي يظهر رجحانه- والله أعلم-: أنَّ النبيَّ ﷺ أخبر في حديث جابر رضي الله عنه عما وقع في نفسِ الشيطانِ من الناس بسبب الفتوحاتِ ودخول الناس في دين الله أفواجًا وانتشار الإسلام، وكذلك فيه إخبارٌ بأنَّ أهلَ الجزيرة لن يجتمعوا على الشِّرك أبدًا بعد ذلك، حتى وإن وقع في بعضِهم؛ لكنهم لا يجتمعون على الضَّلالة.

---

[١] المفهم (٧/ ٣١٠).

[٢] الصراع بين الإسلام والوثنية (٢/ ١٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٣٠] هل هناك تعارضٌ بين شفاعةِ النبيِّ ﷺ لعمِّه أبي طالبٍ الكافر وبين قول اللهِ تعالى: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾} [المدثر:٤٨]؟

أخبر اللهُ تعالى أنَّ الكفارَ لا تنفَعُهم شفاعةٌ في القيامة، فقال: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾} [المدثر:٤٨]، وقالوا هم عن أنفسهم: {فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾} [الشعراء:١٠٠، ١٠١]، وقد ثبت من حديث العباسِ بنِ عبد المطلب، أنه قال: يا رسولَ الله، هل نفعتَ أبا طالبٍ بشيءٍ؛ فإنه كان يحوطُك ويغضَبُ لكَ؟ قال: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[(١)].

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أنه سمِعَ النبيَّ ﷺ وذُكِرَ عنده عمُّه، فقال: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»[(٢)].

وقد ثبت أن أبا طالبٍ مات على الكفر والشِّرك في حديث سعيد بن المسيِّب، عن أبيه، قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٥ – ٣٦٧٠ – ٦٢٠٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٢ – ٦١٩٦)، ومسلم (٢١٠).

فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وعَبْدَ اللهِ بنَ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ، فَقالَ: أَيْ عَمِّ قُلْ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللهِ**». فَقالَ أبو جَهْلٍ وعَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عليه، ويُعِيدَانِهِ بتِلْكَ المَقالَةِ، حتَّى قالَ أبو طَالِبٍ آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ: علَى مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ، وأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فأنْزَلَ اللهُ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ... ﴿١١٣﴾} [التوبة:١١٣]، وأنْزَلَ اللهُ في أبي طَالِبٍ، فَقالَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ...﴿٥٦﴾} [القصص:٥٦][1]، حتى قال الحافظ ابنُ حجرٍ في «الفتح» عن آية القصص هذه: لم تَختَلِف النَّقَلةُ في أنها نزلت في أبي طالب[2].

فكيف مات أبو طالبٍ على الكفر، والكافرُ لا تنفَعُه شفاعةٌ، وقد شفَعَ النبيُّ ﷺ له عند ربِّه، فقبِلَ شفاعتَه، وجعَلَه أهوَنَ أهلِ النار عذابًا، فهل هذا تعارُضٌ بينَ النُّصوص؟

---

[1] أخرجه البخاري (٤٤٩٤)، ومسلم (٢٤).

[2] فتح الباري (٨/ ٥٠٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجواب بعون الملك الوهاب:

أن هذه الشفاعةَ خاصةٌ بالنبيِّ محمدٍ ﷺ لعمِّه أبي طالبٍ، فهي خاصَّةٌ لأبي طالب، وليست لعموم الكفار؛ كرامةً للنبي ﷺ، فالذي مات على الشِّرك والكفر لا تنفَعُه حسناتُه، وأعمالُه يُجازَى بها في الدنيا وما له في الآخرة من نصيبٍ، قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾} [هود:١٥، ١٦]، وقال تعالى: {مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾} [الإسراء:١٨]، وقال تعالى: {وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾} [الفرقان:٢٣]، وقال سبحانه: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾} [الزمر:٦٥]، وقال تعالى: {إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾} [المائدة:٧٢]، وقال: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾} [النساء:٤٨].

فمَن مات على الشرك والكفر فهو مخلَّدٌ في جهنَّمَ بلا نزاعٍ، أما تخفيفُ

العذابِ عنه بسبب أعمالِه الصالحة التي عملها في الدنيا مع شركه وكفره فهذا موضعُ البحث، فقال بذلك بعض أهل العلم؛ حيث حملوا حديثَ أبي طالبٍ في تخفيف العذاب عنه على العُمُوم، مع كونه مُعذَّبًا ومخلَّدًا في النار، ومن القائلين بذلك القرطبيُّ والبيهقيُّ وابنُ أبي العز[1].

واستدلوا بقول الله تعالى: {وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧} [الأنبياء:٤٧]، وقالوا بأن الآيةَ تشمَلُ الكافِرَ؛ حيث لم يُفصِّل اللهُ بين نفس ونفس.

وكذلك استدلوا بحديث أبي طالبٍ أنه يُخفَّفُ عنه بسببِ إحسانِه إلى النبي ﷺ، وهكذا كلُّ إنسانٍ على العموم.

وقولهم هذا قولٌ ضعيفٌ مردودٌ بالآيات التي سبق ذكرُها بحبوطِ عملِ المُشرِك، وأنه يُؤجَرُ في الدنيا وما له في الآخرةِ مِن نصيب، وأنَّ عمَلَهم يومَ القيامة يكونُ هباءً منثورًا؛ لقول الله تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا

[1] شرح الطحاوية (ص٦٢)، والتذكرة للقرطبي(٢/ ١٥)، والبعث والنشور للبيهقي (ص٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾} [فاطر:٣٦].

وكذلك قولُهُم هذا مردودٌ بحديث عائشة ﵂، قالت: قُلْتُ لرسولِ اللهِ ﷺ: إنَّ ابنَ جُدعانَ في الجاهليَّةِ كان يَقري الضَّيفَ، ويُحسِنُ الجوارَ، ويصِلُ الرَّحِمَ، فهل ينفَعُه ذلك؟ قال: «**لا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا قَطُّ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**»[(١)].

وبحديث أنسٍ عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ المُؤْمِنَ حَسَنَةً يُعْطَى عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُثَابُ عَلَيْهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا خَيْرًا**»[(٢)].

فدلَّ ذلك على أنَّ الشفاعةَ في أبي طالبٍ خاصةٌ به؛ كرامةً للنبي ﷺ، وليست لغيره.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢٣٧).

بدليل أن نبيَّ الله إبراهيم عليه السلام يأتي يومَ القيامة ويريد أن يشفَعَ في أبيه، فلا يَقبَلُ اللهُ شفاعتَه؛ بل يمسَخُ أباه ذيخًا- وهو ولدُ الضَّبُع- ويُلقَى به في نار جهنَّمَ، مع أن إبراهيمَ هو خليلُ الرحمن، وأبو الأنبياء، وإمامُ الأتقياء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَلَّا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ**»[1].

فشفاعةُ النبيِّ ﷺ في تخفيفِ العذاب عن أبي طالبٍ مع كونِه مُخلَّدًا في النار من خصائصِ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وليست لغيره. والله أعلم.

وأما حديثُ ابن مسعودٍ عند الحاكم عن النبي ﷺ قال: «**مَا أَحْسَنَ مُحْسِنٌ مِنْ مُسْلِمٍ وَلَا كَافِرٍ إِلَّا أَثَابَهُ اللهُ**». قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا إِثَابَةُ اللهِ الكَافِرَ؟

---

[1] أخرجه البخاري (٣٣٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: «**إِنْ كَانَ قَدْ وَصَلَ رَحِمًا ، أَوْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، أَوْ عَمِلَ حَسَنَةً، أَثَابَهُ اللهُ المَالَ وَالوَلَدَ وَالصِّحَّةَ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ**». قَالَ: فَقُلْنَا: مَا إِثَابَتُهُ فِي الآخِرَةِ؟ فَقَالَ: «**عَذَابًا دُونَ العَذَابِ**». قَالَ: وَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر:٤٦][1]: فضعيفٌ، ولا يصِحُّ عن النبي ﷺ بحال.

[1] أخرجه الحاكم (٣٠٠١)، وضعفه الإمام الذهبي والبيهقي في الشعب (٢٧٧)، والبزار في كشف الأستار (١/ ٤٤٨)، والهيتمي في المجمع، والحافظ في الفتح (١١/ ٤٣٢)، والذهبي في الميزان (٥/ ٤٠).

[٣١] هل النبوة سبعون جزءًا أم ستة وأربعون أم خمسة وأربعون؟

فقد وردت أحاديثُ صحيحةٌ وثابتةٌ عن النبيِّ ﷺ تنُصُّ على أن النبوَّةَ سبعون جزءًا، كحديثِ ابنِ عمر ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[١].

ووردت أحاديثُ أخرى تبيِّنُ أنها ستةٌ وأربعون جزءًا من النبوة، كحديث أنس وأبي هريرة وعُبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ: «**رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[٢].

وأخرى تبيِّن أنها خمسةٌ وأربعون جزءًا، كحديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[٣].

والجواب على ذلك:

---

[١] أخرجه مسلم (٢٢٦٥).

[٢] أخرجه البخاري (٦٥٩٣، ٦٦١٤، ٦٥٨٦)، ومسلم (٢٢٦٤، ٢٢٦٣).

[٣] أخرجه مسلم (٢٢٦٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أفضلُ ما قيل في الجمعِ بين هذه الأحاديث الصحيحة هو أنَّ الاختلافَ في عددِ الأجزاء إنما يكونُ على حسَبِ حالِ الرائي، فكلما كان الرائي أصدقَ حديثًا، وأعظمَ ديانةً، وأخلَصَ نيَّةً، كانت رؤياه أقربَ الأعداد المذكورة إلى النبوَّة[١].

ويشهد بهذا المعنى قولُه ﷺ: «**أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا**»[٢].

[٣٢] هل يجوزُ تفضيلُ النبيِّ محمَّدٍ ﷺ على الأنبياء أم لا؟

وردت أحاديثُ تنهى عن التفضيل بين الأنبياء، وأخرى تدلُّ على تفضيل نبيِّنا محمدٍ ﷺ على غيرِه من الأنبياء والرسل، ومن ذلك: عن أبي هريرة ﷺ، قال رسولُ الله ﷺ: «**وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[٣].

وفي رواية قال: «**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى**»[٤].

---

[١] فتح الباري (١٢/ ٣٦٥)، وشرح النووي (١٥/ ٢٦). وهو ما رجحه الإمام الطبري وابن عبد البر وابن الجوزي.

[٢] أخرجه مسلم (٦٤٥).

[٣] أخرجه البخاري (٣٢٣٣)، ومسلم (٢٣٧٣).

[٤] أخرجه البخاري (٢٢٨٠)، ومسلم (٢٣٧٣).

وفي رواية أبي سعيدٍ ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ**»[١].

وفي حديثِ ابنِ عباس ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[٢].

فكلُّ هذه الأحاديث تدُلُّ على النهيِ عن التفضيل بين الأنبياء.

وقد ورد ما يدلُّ على جواز تفضيلِ النبيِّ محمدٍ ﷺ على جميع الأنبياء والرُّسُل، ومن ذلك حديثُ أبي هريرةَ ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءُ الحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»[٣].

---

[١] أخرجه البخاري (٢٢٨١)، ومسلم (٢٤٧٤).

[٢] أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (٢٣٧٧).

[٣] أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[1].

هل هناك تعارُضٌ بينَ هذه الأحاديث؟

الجوابُ على ذلك من وجوه:

أولًا: أجمع العلماءُ على وجودِ المفاضلة بين الرُّسُل والأنبياء، فبعضُهُم أفضلُ من بعضٍ؛ لقولِ الله تعالى: {۞تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ}، وقال: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾} [الإسراء:٥٥].

فالرسل بعضُهم أفضلُ من بعض، والأنبياء بعضُهم أفضلُ من بعض، والرسلُ أفضلُ من الأنبياء، وأولو العزمِ من الرُّسُلِ أفضلُ من بقيَّةِ الرُّسُل، ومحمدٌ ﷺ أفضلهم جميعًا بلا خلاف[1].

---

[1] أخرجه مسلم (٥٢٤).

ثانيًا: النهي عن تفضيل بعضِهم على بعضٍ من عدة وجوه:

أ- إذا كان على سبيل العصبيَّة والحَمِيَّة والهوى كما ورد في سبب الحديث.

ب- إذا كان يؤدِّي إلى الانتقاص من قدر نبيٍّ لتفضيل غيره.

ج- إذا كان حالَ التشاجر والتنازُعِ والمجادلة والمخاصمة.

د - إذا كان حالَ تفضيلِ شخصٍ نبيًّا بعينِه على آخَرَ بعينِه؛ ولكن يفضِّلُ بعضَهم على بعضٍ في الجملة [٢].

ثالثًا: أن النبيَّ محمدًا ﷺ هو سيِّدُ ولدِ آدم وخيرُهم بالإجماع، وهو إمامُ الأنبياء والرُّسُل باتِّفاق، ومع ذلك نهى عن هذا التفضيلِ على سبيلِ التواضعِ والأدبِ وهضمِ حقِّ النفس؛ بدليلِ قولِه: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**»، ثم قال: «**وَلَا فَخْرَ**»؛ أي: بغير افتخارٍ ولا استكبارٍ ولا عُجبٍ بالنفس، فصلِّ اللهُمَّ وسلِّم وبارِكْ على سيِّدِنا سيِّدِ المتواضِعِينَ وإمامِ الخاشِعِينَ.

---

[١] = تفسير ابن كثير (٣/ ٧٧)، وتفسير السعدي (١/ ٣١٠)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٥/ ٤٣)، والشريعة للآجري (١٥٥٢).

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/ ٤٣٦)، وشرح الطحاوية (١٥٩)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٢٥/ ٤٣)، وفتح الباري (٦/ ٤٤٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبناءً على ما سبق فلا تعارُضَ ولا إشكالَ.

[٣٣] هل آيةُ الدُّخَان التي هي من أشراط الساعة وقعت أم لا؟

وردت أحاديثُ صحيحةٌ تدل على أن آيةَ الدُّخَانِ لم تحدُثْ بعدُ، ومنها:

عن حذيفةَ بن أَسِيدٍ الغِفاري، قال: اطَّلَع النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتَذاكَرُ، فقال: «**مَا تَذْكُرُونَ؟**». قالوا: نَذكُرُ الساعةَ. قال: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها، أوِ الدُّخَانَ، أوِ الدَّجَّالَ، أوِ الدَّابَّةَ، أوْ خاصَّةَ أحَدِكُمْ، أوْ أمْرَ العَامَّةِ**»[٢].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٩٠١).

[٢] أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

فدلَّ الحديثان أن على أن علامةَ الدُّخَانِ لم تَحدُثْ بعدُ، وإنما ستكونُ في آخرِ الزمان.

وقد ورد عن ابن مسعودٍ أنه قال: خمسةٌ قد مضَيْنَ: الدُّخَانُ، والقمرُ، والرُّوم، والبطشة، واللِّزام[1].

وعن مسروق، قال: كُنَّا عِنْدَ عبدِ اللهِ جُلُوسًا، وَهو مُضْطَجِعٌ بيْنَنَا، فأتَاهُ رَجُلٌ فَقالَ: يا أبَا عبدِ الرَّحْمَنِ، إنَّ قَاصًّا عِنْدَ أبْوَابِ كِنْدَةَ يَقُصُّ، وَيَزْعُمُ أنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بأنْفَاسِ الكُفَّارِ، وَيَأْخُذُ المُؤْمِنِينَ منه كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَقالَ عبدُ اللهِ- وَجَلَسَ وَهو غَضْبَانُ-: يا أيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ، مَن عَلِمَ مِنكُم شيئًا فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ، وَمَن لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أعْلَمُ، فإنَّه أعْلَمُ لِأحَدِكُمْ أنْ يَقُولَ لِما لا يَعْلَمُ: اللهُ أعْلَمُ، فإنَّ اللهَ ﷻ قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾} [ص:٨٦]، إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا رَأى مِنَ النَّاسِ إدْبَارًا، فَقالَ: «**اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ**». قالَ: فأخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شيءٍ، حتَّى أكَلُوا الجُلُودَ وَالمَيْتَةَ مِنَ الجُوعِ، وَيَنْظُرُ إلى السَّمَاءِ أحَدُهُمْ، فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فأتَاهُ أبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بطَاعَةِ اللهِ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ، وإنَّ قَوْمَكَ قدْ

[1] أخرجه البخاري (٤٤٨٩ـ٤٥٤٣- ٤٥٤٨)، ومسلم (٢٧٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هَلَكُوا، فَادْعُ اللهَ لهمْ! قالَ اللهُ ﷻ: {فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾...} إلى قَوْلِهِ: {إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾} [الدخان:١٠-١٥]. قالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الآخِرَةِ؟ {يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾} [الدخان:١٦]. فالبَطْشَةُ يَومَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ، وَآيَةُ الرُّومِ[1].

فمِن حديثِ ابن مسعود تبيَّن أن الآيةَ قد وقعت، فهل هناك تعارُضٌ أم لا؟

الجواب: ليس هناك أدنى تعارُض؛ لأن الدُّخَانَ الواردَ في حديث ابن مسعود غيرُ الدُّخَانِ الواردِ في حديث حذيفةَ وأبي هريرة.

فالدخانُ الأولُ الذي وقع في زمن النبي ﷺ والذي قصده عبدُ الله بن مسعود هو ما أصاب قريشًا عندما دعا عليهم النبيُّ ﷺ بسنين كسِنِي يوسُفَ، فقد حصل ومضى، أما الدُّخَانُ الثاني الواردُ في حديث أبي هريرة وحذيفةَ فهو الذي يقَعُ ضمنَ علاماتِ الساعةِ الكبرى، وهذا لم يحدث إلى الآن.

---

[1] أخرجه البخاري (٤٤٩٦) (٤٥٣١)، ومسلم (٢٧٨٩) واللفظ لمسلم.

ويؤيد هذا الجمعَ قولُ ابنِ مسعود، فإنه قد عطف فيه بين خمس علاماتٍ وقَعْن كلُّهنَّ، وكلُّهن من دلائل النبوة: الدُّخَانُ المذكور في حديثه وفي قوله تعالى: {فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠}، وآيةُ انشقاق القمر الواردة في قوله تعالى: {ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١}[القمر:١]، وانتصارُ الروم على الفُرس: {وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ...٤}[الروم:٣-٤]، والبطشةُ يومَ بدر: {يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦}[الدخان:١٦]، واللِّزامُ- وهو العذابُ- الذي وقع بقريشٍ يومَ بدرٍ بقتل سبعين وأسر سبعين وجراحة آخرين مع غنيمةِ أموالهم للمسلمين.

ومِن أهل العلم مَن قال: آيةُ الدُّخَان الواردة في القرآن: {فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١...} إلى قَوْلِهِ: {يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦}[الدخان:١٠-١٦]، قالوا هي نفسُها الواردةُ في حديث أبي هريرة وحذيفة بن أَسِيدٍ، وهي من أشراطِ الساعة التي لم تقع بعد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهو قولُ ابنِ عباسٍ، وابنِ عمرَ، وعليِّ بنِ أبي طالب، وأبي هريرة، وحُذَيفة، والحسنِ، والقرطبيِّ، وابن القيم، وابن كثير، والعلائي، وغيرهم[١]، حتى إن الحافظَ ابنَ كثيرٍ قال في تفسير ابن مسعود لآية الدُّخَان: وهذا التفسيرُ غريبٌ جدًّا، ولم يُنقَلْ مثلُه عن أحدٍ من الصحابة وغيرِهم.

وعلى هذا القولِ: تكونُ البطشةُ الكبرى هي يومُ القيامة، كما رجَّحَه ابنُ عباسٍ، والحسنُ البصري، وعكرمة، وابن كثيرٍ رحمهم الله.

[١] المفهم(٧/ ٢٣٩)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٨/ ٢٤٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢١٣)، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٤٥٣).

[٣٤] وقتُ كتابةِ مقاديرِ العبدِ في بطن أمِّه هل بعد الأربعين الأولى أم الثالثة؟

ورد في حديث ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**»[(١)].

فأفاد هذا الحديثُ أن الكتابةَ تكونُ بعد الأربعين الثالثة.

وعن حُذَيفةَ بنِ أَسِيدٍ رضي الله عنه يبلُغُ به النبيَّ ﷺ، قال: «**يَدْخُلُ المَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا**

[(١)] أخرجه البخاري (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٦٤٣).

رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ»[١].

وفي لفظ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا، وَبَصَرَهَا، وَجِلْدَهَا، وَلَحْمَهَا، وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ المَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»[٢].

وفي رواية: «إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَتَسَوَّرُ عَلَيْهَا المَلَكُ...»[٣].

وفي رواية أخرى: «أَنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالرَّحِمِ، إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِإِذْنِ اللهِ، لِبِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[١].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٦٤٤).

[٢][٢] أخرجه مسلم (٢٦٤٥).

[٣][٣] أخرجه مسلم (٢٦٤٥)،وأحمد (١٦١٤٢).

فأفاد هذا الحديثُ أن الكتابةَ تكونُ بعد الأربعين الأولى، فهل هناك تعارُضٌ بينَ الحديثين؟

الجواب: ليس هناك أيُّ تعارضٍ بين الحديثين؛ لأن الحديثين صحيحان، والكتابةَ تقعُ مرتين، مرةً بعد الأربعين الأولى، ومرةً بعد الأربعين الثالثة، ولله الحِكمةُ البالغةُ، ولا يُسأَلُ عما يفعلُ وهم يُسألَون.

وهذا ما رجَّحَه شيخُ الإسلام ابن تيميَّة، وابن القيم، والقاضي عياض، وابن الصلاح، وغيرُهم[٢].

وقال بعضُ أهل العلم كالحافظ ابن رجب: إن الكتابةَ تختلفُ باختلاف الأجِنَّة، فبعضُهُم يُكتَبُ له ذلك بعد الأربعين الأولى، وبعضُهُم بعدَ الثالثة[٣].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٦٤٥).

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٤١)، وفتح الباري (١١/ ٤٨٤)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ٤٣١)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٨/ ١٢٧)، وشفاء العليل (١/ ٦٧)، وطريق الهجرتين (ص١٤٣).

[٣] جامع العلوم والحكم (ص٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعضُ العلماء: إن حديثَ أَسِيدٍ نصٌّ عامٌّ مطلَقٌ على الكتابة بعدَ الأربعين الأولى، وجاء حديثُ ابنِ مسعود فقيَّد هذا الإطلاقَ، وحدَّده بأنه بعد الأربعين الثالثة، والمطلَقُ يُحمَلُ على المقيَّد، ولا إشكالَ في أنها كتابةٌ واحدةٌ.

قال ابنُ القيم: هذا وجهٌ حسن جدًّا [١].

وأما القولُ بردِّ حديثِ حذيفةَ بن أَسِيدٍ: فهو قولٌ ضعيفٌ.

---

[١] طريق الهجرتين (ص١٤٧).

[٣٥] هل هناك تعارضٌ بينَ خَلْقِ الله للشرِّ وتقديرِه وبينَ قولِ النبي ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»؟

وردت أحاديثُ تدلُّ على أن اللهَ تعالى هو خالقُ الخيرِ والشرِّ، ومقدِّرُهما على العباد، كحديث عمرَ بنِ الخطاب في سؤالات جبريلَ للنبيِّ ﷺ عن الإيمان؟ قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[١]، فدل على أن الخيرَ والشرَّ من خلق الله وتقديره.

فعن طاوسٍ اليماني، أنَّه قال: أدركتُ ناسًا من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ يقولون: كلُّ شيءٍ بقدرٍ. قال طاوسٌ: وسمِعتُ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ يقولُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ شَيءٍ بقَدَرٍ، حَتَّى العَجْزُ وَالكَيْسُ، أوِ الكَيْسُ وَالعَجْزُ**»[٢].

والعجزُ هو عدمُ القدرة، أو تركُ ما يجبُ فعلُه بالتسويف، والكَيْسُ هو العقلُ والحِذقُ بالأمور[٣].

---

[١] أخرجه مسلم (٨).

[٢] أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

[٣] انظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٨٨٦) (٤/ ٢١٧)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ٤٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ورد ما يدل على أن الشرَّ لا يُنسَبُ إلى الله كما في حديث علي بن أبي طالب في دعاء الاستفتاح، عن النبي ﷺ، قال: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[1].

فهل هذا من التعارض الوارد في السُّنة؟

الجواب: ليس هناك تعارُضٌ بين النصوصِ الشرعيةِ الصحيحة، وإنما المعنى أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى خالقُ كلِّ شيء، كما قال سبحانه: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢} [الزمر:٦٢]، فاللهُ سبحانه هو خالقُ الخيرِ والشرِّ.

ولكن معنى الحديث أن نؤمِنَ بالقدَر خيرِه وشرِّه، فالشرُّ هنا شرٌّ نسبيٌّ بالنسبة للعبد، أما بالنسبةِ لتقدير اللهِ تعالى لعباده فهو خيرٌ مطلَقٌ، وهذا معنى قولِ النبي ﷺ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**».

فاللهُ يُقدِّرُ المصيبةَ على العبدِ كفارةً لسيِّئاتِه، ورفعةً لدرجاته، وصرفًا لضررٍ أعظَمَ، فالعبدُ يتألَّمُ لما يرى من الشرِّ والتعبِ والضرِّ بالنسبة إليه، أما بالنسبة لله العليِّ العظيمِ فإنه ما فعل ذلك بالعبدِ إلا رحمةً ولطفًا به، مثلُ أصحابِ السفينة

---

[1] أخرجه مسلم (٧٧١).

الذين خرَقَ الخَضِرُ لهم سفينتَهم، فخَرْقُ السفينةِ شرٌّ ظاهرٌ وبلاءٌ لأهل السفينة؛ ولكن الحِكمةَ في هذا التقدير هو دفعُ الشرِّ والأذى عنهم من المَلِكِ الظالم الذي يأخذُ كلَّ سفينةٍ غصبًا، ولولا ذلك لأُخِذتِ السفينةُ منهم، وضاع مالُهم، وانقطعت سُبُلُهم ومصلحتُهم.

فالشرُّ بالنسبةِ للمفعول به؛ وهو الإنسانُ، أما بالنسبةِ للهِ الكريمِ الوَهَّابِ الحليمِ فإنه ما قدَّرَ هذا الشرَّ على العبد إلا رحمةً به، فهو شرٌّ بالنسبة للعبد، وخيرٌ محضٌ بالنسبة لله تعالى.

وهذا ما ذهب إليه شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة، وابنُ القيم، وابنُ أبي العزِّ وغيرهم[١].

ومن المعاني التي ذكرها العلماءُ في حديث: «**والشَّرُّ ليسَ إليك**»، قال بعضهم المعنى: والشرُّ لا يُتقرَّبُ به إليك.

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٦)، وشرح الطحاوية (ص٥١٧)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٦/ ٣٠٦)، وشفاء العليل (٢/ ٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعضهم: الشرُّ لا يُضافُ إليك على انفراده، فلا يقال: خالقُ الشرِّ، ولا: مقدِّرُ الشرِّ.

وقال بعضهم: إن الشرَّ لا يصعَدُ إليك، فلا يصعَدُ إليكَ إلا العملُ الصالحُ والكَلِمُ الطَّيِّبُ[١].

وكلُّ هذه المعاني طيِّبةٌ وجميلةٌ وقريبة، والحقُّ ما ذكرناه. والله أعلم.

[١] أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض د / سليمان الدبيجي (ص٥٦٣ـ ٣٧٤).

[٣٦] هل سِدرةُ المنتهى في السماءِ السابعةِ أم فوقَها أم تحتَها؟

ورد في حديثِ مالكِ بنِ صَعْصَعةَ الأنصاريِّ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، قَالَ: ثُمَّ رُفِعَ لِيَ البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى**»[١].

دل الحديثُ على أنَّ سِدْرةَ المنتهى في السماءِ السابعةِ.

وورد في حديث أنسٍ رضي الله عنه: «**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ، وَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى**»[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٣٠٣٥)، (٣٦٧٤)، ومسلم (١٦٤).

[٢] أخرجه مسلم (١٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فدل هذا الحديثُ على أنَّ سِدْرةَ المنتهى فوق السماء السابعة.

وورد في حديث عن عبد الله، قال: لمَّا أُسْرِيَ برسولِ الله ﷺ انتهى به إلى سِدْرةِ المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرَجُ به مِن الأرض، فيُقبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهبَطُ به مِن فوقها، فيُقبَضُ منها [١].

فهل سِدرةُ المنتهى في السماء السادسة، أم السابعة، أم فوق السابعة؟

الجواب: ليس هنالك تعارُضٌ بين الروايات، فروايةُ ابن مسعود دلَّت على أن أصلَ سِدرة المنتهى في السماء السادسة، ففيها أصلُ ساقها، وأن الفروعَ والأغصانَ والثمَرَ في السماء السابعة.

وبهذا قال جماعةٌ من أهل العلم، ومنهم الحافظُ ابنُ حجر والنوويُّ رحمهما الله [٢].

ومن أهل العلم- كابنِ العربيِّ والقُرطبيِّ والقاضي عِياضٍ- مَن رجَّحوا روايةَ كونِها في السماء السابعة؛ لأن رواتَها أكثرُ، وأنها مرفوعةٌ للنبي ﷺ من

---

[١] أخرجه مسلم (١٧٣).

[٢] فتح الباري (٧/ ٢١٣)، شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٥٢).

قوله، وأن السادسةَ من كلام ابن مسعود، فحديثُهُ موقوفٌ عليه، والمرفوع يُقدَّم على الموقوف[١].

لكن نقول: إن الأحاديثَ كلَّها صحيحةٌ، وإذا أمكن الجمعُ في هذه الحالة فالجمعُ أولى. والله أعلم.

قال ابن الأثير: «سِدرةُ المنتهى» السِّدْرُ: شَجرُ النَّبْقِ.

وسِدْرةُ المنتهى: شجرةٌ في أقصى الجنَّةِ، إليها ينتهي علمُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، ولا يتعدَّاها[٢].

---

[١] المفهم(١/ ٣٩٤)، إكمال المعلم للقاضي عياض (٢/ ٧٣٢)، شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٥)، الفتح (٢/ ٣٢٣).

[٢] النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٥٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٣٧] هل النساء في الجنَّةِ قلَّةٌ أم كُثُرٌ؟

عن أسامةَ بنِ زيدٍ ﷺ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**قُمْتُ عَلَى بَابُ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابُ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ**»[١].

عن عِمرانَ بن حُصَينٍ، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجَنَّةِ النِّسَاءُ**»[٢].

عن ابن عباس وعِمران بن الحُصَين ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»[٣].

أفادت هذه الأحاديثُ أن أقلَّ ساكني الجنَّة النساءُ، وأنهن أكثرُ أهلِ النار.

وقد ورد في الصحيحين ما يدلُّ على أن عددَ النساء ضعفُ عددِ الرجال ويزيد، فعن محمد بن سيرين، قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجالُ في الجنَّة

---

[١] أخرجه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٣٦).

[٢] أخرجه مسلم (٢٧٣٨).

[٣] أخرجه مسلم (٢٧٣٧).

أكثرُ أم النساء؟ فقال أبو هريرة: لو لم يقل أبو القاسم ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَأِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الجَنَّةِ أَعْزَبُ؟**»[١].

وفي لفظٍ للبخاري: «**لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ**»[٢].

فهل هناك تعارضٌ بين هذه وتلك؟

الجواب: ليس هناك تعارضٌ بين الأحاديثِ الصحيحة، فالنساءُ من بني آدمَ في الجنة أقلُّ عددًا من الرجال، وإذا انضم إليهنَّ الحورُ العينُ فإنه بلا شكٍّ يصيرُ عددُ النساء أكثرَ من الرِّجال، وهذا لظاهر الحديثِ: «**إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الجَنَّةِ النِّسَاءُ**»، ولحديث البخاري: «**لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ**»، وهذا هو الحدُّ الأدنى من الحور العين لرجالِ أهل الجنَّة، ولذلك فإن منهم مَن يكونُ له عددٌ كبيرٌ من الحُور العِين حسَبَ منزلتِه في الجنة، فعن عبد الله بن قيس، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا**

---

[١] أخرجه البخاري (٣٠٧٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

[٢] أخرجه البخاري (٣٠٨١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ المُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

قال النبيُّ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[٢].

وهذا ما رجَّحه واختاره ابنُ القيِّم والقرطبيُّ وغيرهم[٣].

قال القرطبي رحمه الله: وبهذا يُعلَم أن نوعَ النساء المشتمل على الحور والآدميات في الجنَّة أكثرُ من نوعِ رجالِ بني آدم، ورجالَ بني آدم أكثرُ من نسائهم[٤].

---

[١] أخرجه البخاري (٣٠٧١)، ومسلم (٢٨٣٨).

[٢] أخرجه الترمذي (١٧١٢)، وصححه الألباني وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (١٦٧٣٠).

[٣] حادي الأرواح (ص١٧١)، والمفهم (٧/ ١٨١).

[٤] المفهم (٧/ ١٨١).

[٣٨] هل الصحابةُ ارتَدُّوا بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ، ويُؤخَذُ بهم ذاتَ الشِّمالِ يومَ القيامة؟

وردت بعضُ الأحاديث أن النبيَّ ﷺ يومَ القيامةِ يرى أُناسًا مِن أُمتِه يُؤخَذُ بهم ذاتَ الشِّمال، فيقول: أصحابي أصحابي، فيقالُ له: إنهم لم يزالوا مرتدِّينَ على أعقابهم منذ فارَقْتَهم.

وقد تمسَّكَ به الروافضُ وأعداءُ الإسلام في تكفير الصحابة والنَّيلِ منهم، فما معنى هذه الأحاديثِ؟ وكيف نرُدُّ على الرافضةِ والزنادقةِ أعداءِ الدِّين؟

والجواب على هذا الإشكال يستلزمُ الآتي:

أولًا: ذِكرُ بعض الأحاديث الواردة في ذلك:

١ـ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما قَالَ: قَامَ فينَا رسولُ الله ﷺ بمَوْعِظَةٍ، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**: {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾} [الأنبياء:١٠٤]، **أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاء بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ... ﴿١١٧﴾} إِلَى قولِهِ: {ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾} [المائدة:١١٧، ١١٨] فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أعقَابِهِمْ مُنذُ فارَقْتَهُمْ»[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ». قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ، فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟»[٢].

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ، أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[٣].

ثانيًا: فضائل أصحاب النبيِّ محمد ﷺ:

---

[١] أخرجه البخاري (٣١٧١) (٣٢٦٢)) (٤٣٤٩) (٤٣٥٠) (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٨٦٠).

[٢] أخرجه مسلم (٢٤٧)، والبخاري (٦٢١٣) (٦٢١٥).

[٣] أخرجه البخاري (٦٢١١)، ومسلم (٢٣٠٤)، واللفظ له.

لقد تظاهرت نصوصُ الكتاب والسُّنة على تزكية الصحابةِ والثناء عليهم، وكذلك أقوالُ سلف الأمة، ومن ذلك على سبيل المثال:

١ـ قال اللهُ تعالى: {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠} [التوبة:١٠٠].

٢ـ وقال اللهُ تعالى: {مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩} [الفتح:٢٩].

٣ـ وقال سبحانه: {يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨} [التحريم:٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[١].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ** -ما يَمْلأُ الكفَّينِ- **وَلَا نَصِيفَهُ**»؛ أي: نصفَ المُدِّ[٢].

ثالثًا: مَن الصحابيُّ؟ الصحابيُّ: مَن لقِي رسولَ الله ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام.

رابعًا: هل كان هناك مَن تظاهر بالإسلامِ والصُّحبة وهو يبطنُ الكفرَ أم لا؟

الجواب: نعم، هناك منافقون، أظهروا الإسلامَ وأبطنوا الكفر، وهناك أعرابٌ أسلموا، ولم يستقرَّ الإسلامُ والإيمانُ في قلوبهم، وقد نزل القرآن بذلك، وأنزل الله سورةَ «المنافقون» وسورةَ «التوبة» الفاضحة، وغيرَ ذلك من الآيات؛

---

[١] أخرجه البخاري (٢٥٠٩)، ومسلم (٢٥٣٣).

[٢] أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٢).

لبيان هذا الصنف من الناس، وأنهم محسوبون على الإسلام والمسلمين، وكان النبيُّ ﷺ يعامِلُهم معاملةَ الإسلام في الظاهر، ويُسمِّيهم أصحابَه، كما ورد في الحديثِ: لمَّا أراد عمرُ أن يَقتُلَ رأسَ المنافقين عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ ابنَ سَلُولَ، فنهاه النبيُّ ﷺ، وقال: «**حَتَّى لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[١].

وقد أعلَمَه اللهُ وأخبَرَه ببعضِ المنافقين وأسمائهم، ولم يُخبِرْه بآخرين منهم، قال تعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾} [التوبة:١٠١].

فهؤلاء وهؤلاء في الظاهرِ صَحابةٌ لقُوا النبيَّ ﷺ، وتظاهروا بالإيمان به، ومات النبيُّ ﷺ وهو يَحسَبُهم من أهل الإيمان، ويأتون يومَ القيامة في زُمْرةِ أمَّةِ محمدٍ ﷺ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا...**»[٢].

فإذا أرادوا القدومَ عليه ليَشرَبوا مِن حَوضِه تطرُدُهم الملائكةُ، ويأخذونهم ذاتَ الشِّمال، فيُنادي النبيُّ ﷺ ويقولُ: «**يَا رَبِّ أَصْحَابِي**»، وهم ليسوا كثيرًا

---

[١] أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).

[٢] أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالنسبة لأمَّةِ محمَّدٍ؛ بدليلِ قولِه في الرواية الأخرى: «**أُصَيْحَابِي**» بالتصغير، مما يدلُّ على قلَّتِهم بالنسبة للأمة.

فهذا الصنفُ من الناس هم الذين ارتدوا بعد موت النبي ﷺ، ومنعوا الزكاة، واتبعوا مُدعي النبوَّة، كطلحة الأسدي، والأسود العَنْسي، ومُسَيلمة الكَذَّاب، ونحو ذلك، فهؤلاء الذين كانوا في ظاهرهم صحابةً، وهم الذين يصدُقُ فيهم قولُ النبيِّ ﷺ: «**أَصْحَابِي أَصْحَابِي**»، فيقال له: «**إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**».

أما المهاجرون والأنصارُ والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ فهم الذين قال اللهُ عنهم: {رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} [التوبة:١٠٠]، وقال عنهم: {أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾} [الفتح:٢٩].

وليس للرافضةِ والملاحدةِ الزَّنادقةِ أدنى حجةٍ في هذه الأحاديث؛ بل هي تنطبقُ على أمثالِهم ممَّن تظاهر بالإسلام، وتسمَّوا به، وأبطنوا الكفرَ؛ بل وأظهروه وأظهروا العداءَ للقرآنِ والسُّنَّةِ والصحابةِ وأهلِ الإيمان، كما قال الله عنهم: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾} [البقرة:٨، ١٠].

وقال بعضُ أهل العلمِ: يرادُ أيضًا بهذه الأحاديث والرِّدَّةِ الواردةِ فيها: الرِّدَّةُ عن الاستقامة باقتراف السيئات، وترك الواجبات، والإحداث والابتداع في الدِّين، وعلى هذا يكونُ من جملةِ المطرودين المُذادِين عن الحوضِ أصحابِ المعاصي والكبائر وأهل البدع؛ زجرًا وتأديبًا لهم على بدعهم ومعاصيهم، ثم بعد ذلك ينالون شفاعةَ النبيِّ ﷺ، فيعفو اللهُ عن المُوَحِّدِين منهم، ويُدخِلُهم الجنةَ برحمته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ذهب إلى هذا القول الخطابيُّ، وابنُ بطال، وابنُ عبد البَرِّ، وغيرهم [١].

ولا مانعَ من دخولِ هؤلاء أيضًا في معنى الأحاديث كما ذكره هؤلاء العلماءُ الأفذاذ.

[٣٩] هل الساعةُ تقومُ على أهلِ الحقِّ وهم ظاهرون، أم على شرارِ الخلقِ وجَهَلةِ الناس وسِفْلَتِهِم؟

ورد في حديث المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**» [٢].

وعن جابر ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» [٣].

---

[١] شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٦)، إكمال المعلم (٢/ ٥٢)، والتذكرة (١/ ٤٦٤)، تفسير القرطبي (٤/ ١٦٨)، شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ١٣٩)، الاعتصام للشاطبي (١/ ١٠٦-١٠٨).

[٢] أخرجه البخاري (٦٨٨١) (٣٤٤١) (٧٠٢١)، ومسلم (١٩٢).

[٣] أخرجه مسلم (١٥٦).

عن جابر بن سَمُرةَ ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[١].

وعن عِمرانَ بنِ حُصَينٍ ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ**»[٢].

عن جابر بن عبد الله ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ؛ لِيُكْرِمَ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ**»[٣].

فكلُّ هذه الأحاديث تدلُّ على قيامِ الدِّين إلى قيامِ الساعة، وتقوم عليه طائفةٌ من أهل الحقِّ ظاهرين حتى تقومَ الساعةُ.

---

[١] أخرجه مسلم(١٩٢٢).

[٢] أخرجه أبو داود (٢٤٨١)، وصححه الألباني.

[٣] أخرجه أحمد(١٤٧٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد وردت أحاديثُ تدلُّ على أن الساعةَ لا تقومُ إلا على شرارِ الناس؛ حيث الجهلُ والفواحشُ؛ حتى إنه لا يُذكَرُ اسمُ الله في الأرض، ومن ذلك:

حديثُ عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ**»[١].

عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ اللهُ**»[٢]، وفي رواية: «**حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ**»[٣].

عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ قُبُورَهُمْ مَسَاجِدَ**»[٤].

فهل الساعةُ تقومُ على الأشرار أم على الأخيار؟

الجوابُ: ليس هناك أدنى إشكالٍ ولا تعارضٍ بين الأحاديث الصحيحة الثابتةِ عن النبي ﷺ؛ فإن هذا الدِّينَ لا يزالُ قائمًا إلى قُربِ قيامِ الساعة، ولا يزالُ

---

[١] أخرجه البخاري (٦٦٥٦)، ومسلم (٢٩٤٩).

[٢] أخرجه مسلم (١٤٨).

[٣] أخرجه أحمد(١٣٨٣٣)، وصححه الألباني.

[٤] أخرجه البخاري (٧٠٦٧)، وأحمد (٤٤٢٨).

اللهُ سبحانه وتعالى يَستخلِفُ مَن يحمِلُه ويقيمُ الحُجَّةَ على خلقِ الله إلى قُربِ قيامِ الساعة، ثم يبعثُ الله ريحًا طيِّبةً تَقبِضُ رُوحَ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فلا يبقى في الأرضِ إلا شرارُ الخلقِ، فيفشو فيهم الجهلُ والضلالُ، ويأتيهم الشيطانُ، ويدعوهم إلى عبادة الأوثان، فيُطيعوه، حتى لا يُعبَدَ اللهُ في الأرض، ولا يُذكَرَ اسمُه سبحانه، فعلى هؤلاء تقومُ الساعة، وينفُخُ إسرافيلُ في الصُّور، فيُصعَقون جميعًا.

والدليل على ذلك ما يأتي:

١ـ المناظرةُ التي جرت بخصوص هذه المسألةِ بين عبد الله بن عمرو بن العاصِ وعُقبةَ بنِ عامرٍ ﷺ كما في «صحيح مسلم»:

فعن عبد الرحمن بن شِماسةَ المَهْريِّ، قال: كنت عند مَسلمةَ بن مَخْلد، وعنده عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص، فقال عبدُ الله: لا تقومُ الساعة إلا على شرارِ الخلق، هم شرٌّ من أهل الجاهلية، لا يدعون اللهَ بشيء إلا ردَّه عليهم، فبينما هم على ذلك أقبل عقبةُ بنُ عامر، فقال له مَسلمةُ: يا عقبةُ، اسمع ما يقول عبد الله، فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمِعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «**لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ المِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[1].

وبهذا الحديث وهذه المناقشة اللطيفة من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ زال الإشكالُ.

ومما يؤيدُ هذا المعنى أيضًا حديثُ عبد الله بن عمرٍو أيضًا في «صحيح مسلم»، فعن عبد الله بن عمرٍو ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ- لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ». قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا

[1] أخرجه مسلم (١٩٢٤).

تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا. قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ- أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ- نُعْمَانُ الشَّاكُّ- فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» [(١)].

واللِّيتُ: صفحةُ العُنُق، والمعنى: إلا أمالَ صفحةَ عُنُقِه لينصِتَ ويستمِعَ فيُصعَقَ، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨} [الزمر:٦٨].

وكذلك يؤيِّدُه حديثُ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعانَ في صفة الدَّجَّال وقتلِه وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ وقتلهم، وحصولِ البركةِ في زمنِ عيسى، وفيه ذكرُ آخِرِ الزمان، فقال: ذكَرَ فيه النبيُّ ﷺ الدجالَ ويأجوجَ ومأجوجَ: «فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ؛ إِذْ بَعَثَ

[(١)] أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[١].

ومعنى: «يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ»؛ أي: يفشو فيهم الزنا؛ حتى يكونَ في الشوارعِ والطُّرُقاتِ من غير نَكيرٍ، كما تفعل الحَميرُ[٢].

وعن عائشة ﵂ قالت: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالعُزَّى». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣٣] أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا. قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»[٣].

---

[١] أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

[٢] انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٨/ ٢٨٣)، والنهاية لابن الأثير (٥/ ٢٥٧).

[٣] أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

قال القرطبي في «التذكرة»: هذه غايةٌ في البيان في كيفية انقراضِ هذا الخلقِ وهذه الأزمان، فلا تقومُ الساعةُ وفي الأرض مَن يعرِفُ اللهَ ولا مَن يقول: اللهُ اللهُ»[١].

[١] التذكرة للقرطبي (٢/ ٥٩٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٤٠] هل هناك تعارض بين أن تكونَ الخلافة والإمامة العامة في قريش، وبين أَمْرِ النبي ﷺ بطاعة الأمراء من غير قريش ولو كانوا من العبيد؟

عن معاوية رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ، لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ**»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ**»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**»[٣].

فدل ذلك على أن الخليفةَ لا بدَّ أن يكونَ قرشيًّا.

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[٤].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: إنَّ خليلي ﷺ أوصاني أن أسمَعَ وأطيعَ وإن كان عبدًا مُجدَّعَ الأطرافِ[١].

---

[١] أخرجه البخاري (٣٣٠٩) (٦٧٢٠).

[٢] أخرجه البخاري (٣٣١٠)، ومسلم (١٨٢٠).

[٣] أخرجه أحمد (١٢٩٠٠)، وصححه محققو المسند.

[٤] أخرجه البخاري (٦٧٢٣)، (٦٦١).

وفي رواية قال النبي ﷺ له: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[٢].

ومعنى: «**عَبْدٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةً**»؛ أي: صغيرَ الرأس، أو أسودَه، أو مُفَلفَلَ الشعر[٣].

ومعنى: «**عَبْدٌ مُجَدَّعُ الأَطْرَافِ**»؛ أي: مقطوع الأطراف، والمرادُ: ولو كان أخسَّ العبيد، وإن كان دنيءَ النسبِ، حتى ولو كان عبدًا أسودَ مقطوعَ الأطراف[٤].

أجمع العلماءُ على أن الإمامَ لا بدَّ أن يكونَ حُرًّا، فلا يجوزُ أن يكون عبدًا؛ لأن المملوكَ لا يحقُّ له التصرفُ في شيء إلا بإذن سيده، فلا ولايةَ له على نفسِه، فكيف تكونُ له الولايةُ على غيره؟

الجواب من وجوه:

---

[١] أخرجه البخاري(٦٦٤)، ومسلم (١٨٣٧).

[٢] أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (١٨٣٧).

[٣] انظر: فتح الباري (١٣/ ١٢٢).

[٤] انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٢/ ٤٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولًا: أن المرادَ أن الإمامَ الأعظمَ الحرَّ القرشيَّ أو غيرَ القرشي إذا استعمَل العبدَ على إمارة بلدٍ مثلًا أو على عمل من الأعمال وجبت طاعتُه، وليس فيها أن العبدَ الحبشيَّ يكون هو الإمامَ الأعظمَ[١].

وهذا معنى قولِ النبي ﷺ: «**وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**»[٢].

ثانيًا: أن هذا أيضًا من باب ضرب المثل للمبالغة في وجوب طاعة ولاةِ الأمور في طاعة الله، وعدمِ الخروج عليهم، أو إثارةِ الفتن ضدَّهم، حتى وإن كانوا من شرارِ الناس أو من أخسِّ الناس، ونعصيهم في معصية الله، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، وقد يُضرَبُ المَثَلُ بما لا يقعُ في الوجود، كقول النبي ﷺ: «**مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ**»[٣] [٤].

ومَفْحَصُ القَطاة: هو عُشُّ الطائر.

---

[١] انظر: أضواء البيان للشنقيطي(١/ ٥٦)، وجامع العلوم لابن رجب (٢/ ١١٩)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ١٧٩)، ومعالم السنن للخطابي (٤/ ٢٧٨).

[٢] أخرجه مسلم (١٨٣٨).

[٣] أخرجه ابن حبان (١٦١٠)، والطحاوي في المشكِل (٤٤٢)، وإسنادُه صحيح.

[٤] انظر: المفهم للقرطبي (٤/ ٣٤)، والفتح ١٣/ ١٢٢) والمراجع السالفة.

وعن عليٍّ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيشٍ، أَبْرَارُهَا أُمَرَاءُ أَبْرَارِهَا، وَفُجَّارُهَا أُمَرَاءُ فُجَّارِهَا، وَإِنْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، مَا لم يُخَيَّرْ أَحَدُكُم بينَ إسلامِهِ وضَرْبِ عُنُقِه، فإنْ خُيِّرَ بينَ إسلامِهِ وضَرْبِ عُنُقِه فلْيُقدِّمْ عُنُقَه**»[(١)].

ثالثًا: لو تغلَّب العبدُ على المُلك وصارت له المَنَعةُ والشوكةُ، ففي هذه الحالة تجب طاعتُه بالمعروف؛ درءًا للفتنة، وحقنًا للدماء، وصيانةً للأعراض والأموال والأمن، فالمرادُ في هذه الحالة هو العبدُ المتغلِّب لا المختار[(٢)].

رابعًا: قولُ النبي ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**»[(٣)]: هذا الحديثُ وحديثُ ابن عمرٍو لا يعارضان كونَ الإمامة في قريش؛ لأنهما إخبارٌ عن حالٍ سيقَعُ، وهذا لا يعني عدمَ استحقاقِ قريش للخلافة، وقد يكون وقوعُ ذلك عند ضعفِ قريشٍ عن إقامة الدِّين؛ لأن استحقاقَهم للإمامة مقيَّدٌ بإقامة الدين؛ لقوله: «**مَا أَقَامُوا الدِّينَ**».

[(١)] صحيح الجامع (٢٧٥٧).

[(٢)] انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٢٢).

[(٣)] أخرجه البخاري (٣٣٢٩)، ومسلم (٢٩١٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**أَمَّا بَعْدُ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ هَذَا الأَمْرِ، مَا لَمْ تَعْصُوا اللهَ، فَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعَثَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَى هَذَا القَضِيبُ**»؛ لِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ لَحَا قَضِيبَهُ، فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ يَصْلِدُ[1].

«**يلحاكم**»؛ أي: يُبعِدُكم ويُزيلكم عن الولاية.

«**كَمَا يُلْحَى هَذَا القَضِيبُ**»؛ أي: كما يُقشَّر الفرعُ من الشجر، فتفصَلُ قشرتُه عنه.

«**فَهُو أَبْيَضُ يَصْلِدُ**»؛ أي: يَبرُقُ.

وقد تحقَّق ما أخبر به النبيُّ ﷺ، فقد كان الأمرُ في قريشٍ ما أقاموا الدينَ، واستمرَّت فيهم الخلافةُ والولايةُ، حتى خرجت عنهم بعد الخِذلان وفساد التدبير، وقد وقع ذلك في صدر الدولة العباسية؛ بحيث صار الخلفاءُ مع مواليهم كالصبيِّ المحجور عليه يقنَعُ بلذاته، ويباشِرُ الأمورَ غيرُه، ثم اشتدَّ الخطبُ فغلب عليهم الدَّيْلَم، حتى لم يبقَ للخليفةِ إلا الخطبةُ، وأصبَحَ المتغلِّبون المماليك في جميع الأقاليم، ولم يبقَ للخليفة إلا الاسمُ في بعض الأمصار، ثم

---

[1] أخرجه أحمد (٤٣٨٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٥٢).

صار الأمرُ إلى ما نحن فيه اليومَ من ضياعِ أمرِ الخلافةِ وتمزيقِ المسلمين دُولًا ودُوَيلاتٍ، وإيقاعِ الخلافاتِ بينهم، وتغلُّبِ الكفار عليهم، حتى صاروا ألعوبةً في أيدي الكفار، إلا مَن رحم اللهُ تعالى.

ونسأل اللهَ تعالى أن يرُدَّ المسلمين إلى دينه ردًّا جميلًا، وأن يعيدَ عليهم العزةَ والكرامةَ بلزوم منهج القرآن والسُّنَّة على فهم أصحاب النبي ﷺ.

[٤١] ما أولُ أشراطِ الساعة الكبرى: أهو طلوعُ الشمس من مغربها، أم خروج الدابة، أم الدَّجَّال، أم النارُ التي تَحشُرُ الناسَ من المشرق إلى المغرب؟

وردت أحاديثُ عن رسول الله ﷺ ظاهرُها التعارضُ في أول أشراط الساعة، ونذكرها على النحو الآتي:

أولًا: حديثُ أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ**»[١].

دل الحديثُ على أنَّ أولَ أشراطِ الساعةِ خروجُ نارٍ تحشُرُ الناسَ من المشرق للمغرب.

ثانيًا: حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ**

---

[١] أخرجه البخاري (٣١٥١، ٤٢١٠، ٣٧٢٣، ٢٦٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: {لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا... ﴿١٥٨﴾} [الأنعام:١٥٨][(١)].

ثالثًا: حديث عبد الله بن عمرو بن العاصِ ﷺ، قال: حفِظتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنْسَهُ بعدُ، سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**»[(٢)].

دل الحديثُ على أن أولَ أشراطِ الساعة طلوعُ الشمس من مَغربِها أو خروجُ الدابة، وأيهما كانت فالأخرى بعدها مباشرةً.

وقد ثبت أن ظهورَ المهديِّ، وخروجَ الدَّجَّالِ ونزولَ عيسى ابن مريم- وكلُّها من أشراط الساعة- تكونُ قبلَ طلوعِ الشمس من مغربِها، وإذا طلعت من مغربها لا تُقبَلُ التوبةُ من كافرٍ، ولا مشركٍ، ولا عاصٍ، ومن المعلوم أن عيسى لا يَقبَلُ إلا الإسلامَ، فمَن تاب مِن الكفار والمشركين والعُصاة فتوبتُه مقبولةٌ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥٦، ٤٣٦٠، ٦١٤١)، ومسلم (١٥٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم(٢٩٤١).

إضافةً إلى أنه ورد أنَّ أولَ أشراطِ الساعة نارٌ تخرُجُ وتحشُر الناسَ من المشرقِ إلى المغرب.

فهل هناك إشكالٌ، وكيف يكون الجمعُ بين هذه النصوص؟

الجواب: ليس هناك أدنى إشكالٍ ولا اختلافٍ بين هذه الأدلة، وقد أجاب الحافظ ابنُ حجرٍ على ذلك في كلماتٍ معدودةٍ واضحةٍ، فقال: الذي يترجَّح من مجموع الأخبار أنَّ خروجَ الدَّجَّال أولُ الآيات العِظام المؤْذِنةِ بتغير الأحوالِ العامةِ في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام- وكان الأولى أن يقولَ رحمه الله: وينتهي ذلك بخروج الدابة- وأن طلوعَ الشمسِ من المغربِ هو أولُ الآياتِ العظامِ المُؤذِنةِ بتغيُّرِ أحوالِ العالمِ العلويِّ، وينتهي ذلك بقيامِ الساعة.

وأولُ الآياتِ المُؤذِنة بقيام الساعة النارُ التي تحشُرُ الناسَ، كما تقدم في حديث أنسٍ [1].

قلت: ويؤيدُ ذلك ما أخرجه الإمام أحمدُ بلفظ: «**وَأَمَّا أَوَّلُ شَيْءٍ يَحْشُرُ النَّاسَ فَنَارٌ تَخْرُجُ...**»[1]، وكذلك قولُ النبي ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[2].

---

[1] انظر: فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخلاصة:

أولُ الآياتِ العظام خروجُ الدَّجَّال، ويتبَعُه نزولُ عيسى، وخروجُ يأجوجَ ومأجوج، ثم بعد ذلك طلوعُ الشمسِ من مغربها أو خروج الدابة، وأيُّهما ما كانت فالأخرى بعدها مباشرةً.

ثم أولُ الآيات لقيام الساعة نارٌ تحشُرُ الناسَ، تخرُجُ من أرض اليمن، تطرُدُ الناسَ إلى محشرِهم، ثم يتبعها النفخُ في الصُّور؛ لقول النبي ﷺ: «**وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلى مَحْشَرِهِمْ**»[٣].

وعليه فلا إشكالَ ولا تعارضَ في أحاديث المصطفى ﷺ.

---

[١] أخرجه أحمد (١٣٨٦٨) بسند صحيح على شرط مسلم.

[٢] أخرجه مسلم (٢٧٠٣).

[٣] أخرجه مسلم (٢٩٠١).

[٤٢] هل الذي يُوزَن في القيامة هو العملُ أم العاملُ أم صحائفُ الأعمال؟

من عقيدة أهل السُّنة والجماعة الإيمانُ بالموازين يومَ القيامة التي تُوزَنُ بها أعمالُ الخلائق، وهذا بإجماع أهل السُّنَّة؛ لقوله سبحانه وتعالى: {وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾} [الأنبياء:٤٧]، ولقوله سبحانه: {وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾} [الأعراف:٨-٩].

وللأحاديث المتواترة الثابتة عن النبي ﷺ في ذلك.

ولكن هناك إشكالٌ هل الذي يُوزَنُ في القيامة هو العملُ، أم العامل، أم صحائفُ الأعمال؟ فقد وردت الأحاديث الصحيحة في الثلاثة.

أولًا: أحاديثُ تدلُّ على أن الموزونَ هو العملُ نفسُه

١-فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[(١)].

[(١)] أخرجه البخاري (٦٠٤٣، ٧١٢٤)، ومسلم (٢٦٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢-وعن أبي مالكٍ الأشعريِّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ...**»[١].

فدلَّ الحديثان على أن الموزونَ هو العملُ.

ثانيًا: أحاديثُ تدلُّ على أن الموزونَ هو العاملُ نفسُه

١-عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُم: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾}** [الكهف:١٠٥][٢].

٢-وعن ابن مسعودٍ ﷺ، أنه كان يجتني سِواكًا من الأراك، فضحِكَ القومُ من دِقَّةِ ساقَيْه، فقال النبيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»[٣].

فدل هذا الحديثان على أن الموزونَ هو العاملُ نفسُه.

ثالثًا: أحاديثُ تدلُّ على أن الموزونَ هو صحائفُ الأعمال:

---

[١] أخرجه مسلم (٢٢٣).

[٢] أخرجه البخاري (٤٤٥٢)، ومسلم (٢٧٨٥).

[٣] أخرجه أحمد (٣٩٩١) بسند صحيح.

١-عن عبد الله بن عمرو بن العاصِ ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ**، ثم يقول... **فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»[١].

فدلَّ الحديثُ على أن الموزونَ هو صحائفُ الأعمال.

الجواب على ذلك:

أولًا: نؤمنُ ونثبتُ ما أثبته اللهُ ورسوله ﷺ، فنؤمِنُ بوزنِ الأعمال والعامل والصحائف، ونكِلُ الكيفيةَ إلى علمِ الله تعالى كسائر ما أخبَرَنا اللهُ به من الغيب، ونؤمِنُ بأن الميزانَ له كِفَّتان كما ثبت في الأثرِ عن نبيِّنا ﷺ[٢].

---

[١] أخرجه الترمذي (٢٧٧٦)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٩٤)، وصحَّحه الألباني وغيره.

[٢] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٠٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٦١٣)، وتفسير ابن كثير(٢/ ٣٢٥)، وشرح الواسطية للفوزان (ص١٤٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الإمام عبد العزيز بن باز ﷺ: الجمعُ بين النصوصِ الواردةِ في وزنِ الأعمال والعاملين والصحائف: أنه لا مُنافاةَ بينها، فالجميعُ يُوزَنُ؛ ولكن الاعتبارَ في الثِّقَلِ والخِفَّةِ يكونُ بالعمل نفسِه لا بذاتِ العامل ولا بالصحيفة[١].

وقال الشيخ الصالح محمد بن صالح العثيمين ﷺ:

وجمَعَ بعضُ العلماء بين هذه النصوصِ بأن الوزنَ حقيقةً للصحائف، وحيث إنها تثقُلُ وتخِفُّ بحسبِ الأعمالِ المكتوبة صار الوزنُ كلُّه للأعمال، وأما وزنُ صاحبِ العمل فالمرادُ به قدرُه وحرمتُه، وهذا جمعٌ حسَنٌ. والله أعلم[٢].

وقال الشيخ حافظ حكمي ﷺ: الذي استُظهِر من النصوص- والله أعلم- أن العاملَ وعمَلَه وصحيفةَ عمله كلُّ ذلك يُوزَنُ؛ لأن الأحاديثَ التي في بيان القرآن قد وردت بكل ذلك، ولا منافاةَ بينها[٣].

---

[١] انظر: التنبيهات اللطيفة على الواسطية للسعدي بتعليق ابن باز (ص٧١).

[٢] انظر: شرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (١٢١).

[٣] انظر: معارج القبول (٢/ ١٨٥).

ثانيًا: الأعمالُ وإن كانت أعراضًا وليست أجسامًا، فاللهُ ﷻ قادرٌ على أن يَقلِبَها أجسامًا يومَ القيامة ثم تُوزَنَ، ولا إشكالَ.

فاللهُ ﷻ يُحيلُ الموتَ يومَ القيامةِ على هيئة كبشٍ أملَحَ، ويُذبَحُ بين الجنة والنار، كما ورد في حديثِ أبي سعيدٍ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**. ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ}، وهَؤُلاءِ في غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيا: { وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾} [مريم:٣٩] [(١)].

ويُحيلُ اللهُ القرآنَ يومَ القيامة في صورةِ شابٍّ شاحبِ اللون يستقبِلُ صاحِبَه، عند خروجه من قبره، ويقول له: «**أَنَا صَاحِبُكَ القُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى**

[(١)] أخرجه البخاري (٤٤٥٣)، ومسلم (٢٨٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا»[١].

ويُحيله اللهُ شفيعًا لأصحابِه يومَ القيامة، ويُحيلُ سورةَ البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فِرْقان من طيرٍ صَوَافَّ تُحاجَّانِ عن صاحبهما يومَ القيامة، كما جاء في الحديثِ الصحيحِ عن أبي أُمامةَ الباهليِّ ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[٢].

ولذلك قال الحافظ ابنُ كثير ﷺ في قول النبي ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»: فيه دلالةٌ على أن العمَلَ نفسَه وإن كان عرَضًا قد قام بالفاعل يُحيلُه اللهُ يومَ القيامة، فيجعُله ذاتًا يُوضَعُ في الميزان[٣].

---

[١] أخرجه أحمد (٢٢٥٩٠).

[٢] أخرجه مسلم (٨٠٤).

[٣] انظر: النهاية في الفتن لابن كثير (٢/ ٢٦).

وقال الحافظ ابنُ حجر نقلًا عن الطيبي: والحقُّ عند أهل السُّنة أن الأعمالَ حينئذٍ تُجسَّدُ أو تُجعَلُ في أجسامٍ، فتصيرُ أعمالُ الطائعين في صورةٍ حسنةٍ، وأعمالُ المسيئين في صورةٍ قبيحةٍ، ثم تُوزَن[١].

وقال ابنُ أبي العزِّ الحنفيُّ في «شرح الطحاوية»: فلا يُلتَفَت إلى قولِ مُلحِدٍ مُعانِدٍ يقول: الأعمالُ أعراضٌ لا تَقبَلُ الوزنَ، وإنما يقبَلُ الوزنَ الأجسامُ، فإن اللهَ يقلِبُ الأعراضَ أجسامًا[٢].

وبناءً على ما سبق فلا إشكالَ بين الأحاديث، ولا عبرةَ بمَن أخذ ببعضَ النصوصِ دون الآخر، مع إجلالِنا لعلماءِ أهل السُّنة جميعًا، فكلٌّ يُؤخَذُ من قوله ويُردُّ عليه إلا رسولَ الله ﷺ.

---

[١] انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٩).

[٢] انظر: شرح الطحاوية (ص٦١٢).

[٤٣] هل المُصَوِّرون أشَدُّ الناس عذابًا أم الكفار؟

قال اللهُ تعالى في حق آل فرعون: {وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾} [غافر:٤٦].

وقال النبيُّ ﷺ في حقِّ المُصورِّين: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»[١].

وفي روايةٍ لمسلم: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابًا المُصَوِّرُونَ**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، قال: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**»[٣]. والمُضاهاة: المشابهة.

وفي رواية لمسلم: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا...**»[٤].

فهل المُصوِّرون أشدُّ الناس عذابًا أم الكفار والمنافقون؟

---

[١] أخرجه البخاري (٥٦٠٦)، ومسلم (٢١٠٩).

[٢] أخرجه مسلم (٢١٠٩).

[٣] أخرجه البخاري (٥٩٥٤).

[٤] أخرجه البخاري (٥٦١٠)، ومسلم (٢١٠٧).

الجواب: أن الأشدِّيَّةَ في العذاب نسبيَّةٌ، فالمُصوِّرون أشدُّ الناسِ عذابًا أو مِن أشدِّ الناس عذابًا بالنسبة للعُصاة من المُوحِّدين الذين لم تبلُغْ معصيتُهم الكفرَ، لا بالنسبة لجميع الناس.

وفرعونُ أشدُّ الناسِ عذابًا بالنسبة لمَن ادَّعى الألوهيَّةَ والربوبيَّةَ مِن الناس غيره، قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: وهذا أقربُ الوجوه[١]؛ أي: لدرءِ هذا الإشكال.

ومِن أهل العلم مَن حمل الأشديَّةَ في العذاب في الحديث على المُضاهاةِ لخلق الله دون مَن لم يَقصِدِ المضاهاةَ، كالطبري وابن بطال[٢].

وقولهم مردودٌ؛ لأن المُضاهاةَ تحصُلُ بمجرد التصوير، سواءٌ أراد المصوِّرُ ذلك أم لا.

ومنهم مَن حمل الأشديَّة على مَن صوَّر صورةً لتُعبَدَ[٣].

---

[١] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ٢٠٩)، ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٢/ ٢٨٢).

[٢] انظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٨٣)، وشرح النووي لصحيح مسلم (١٤/ ٣٣٩).

[٣] وهذا ما اختار الكرماني والقسطلاني في إرشاد الساري (١٢/ ٦٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا أيضًا معنًى بعيدٌ؛ لأن المعبوداتِ الباطلةَ كثيرةٌ، ولا يُشترَطُ فيها أن تكونَ صورةً، كمَن يعبدون الأضرحةَ، والمقامات، وفروجَ النساء، وذكورَ الرجال، ونحو ذلك.

والراجحُ ما ذكرناه، ولله الحمد والمِنَّة.

وعليه فلا إشكالَ ولا تعارضَ في أحاديث المصطفى ﷺ.

[٤٤] هل هناك تعارضٌ في أحاديث الخُلَّة؟

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه تبرَّأ إلى اللهِ من أن يكونَ له خليلٌ من الخلق؛ لأن اللهَ تعالى اتخذه خليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خليلًا، فقال: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[١].

---

[١] أخرجه مسلم (٥٣٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد صحَّ عن بعض الصحابة أنهم ينسُبُون خُلَّتَهم للنبي ﷺ كأبي هريرة؛ حيث قال: «**أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ**» [١].

وكأبي ذرٍّ رضي الله عنه حين قال: إن خليلي أوصاني أن أسمَعَ وأُطيعَ وإن كان عبدًا مُجَدَّعَ الأطرافِ [٢].

وللجواب على ذلك لا بدَّ أولًا من بيانِ معنى الخُلَّة.

أولًا: معنى الخُلَّة في لغة العرب

قال الزجاج: الخليل: المُحِبُّ الذي ليس في مَحبَّتِه خَلَلٌ، فجائزٌ أن يكون إبراهيمُ سُمِّيَ خليلَ الله؛ لأنه أَحَبَّه اللهُ واصطفاه محبةً تامةً كاملةً [٣].

وقال النحاسُ: في قوله: {وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥} [النساء:١٢٥]: الذي عليه أصحابُ الحديث أنه المُحِبُّ المنقطِعُ إلى الله، الذي ليس في انقطاعه

---

[١] أخرجه البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١١٢٤).

[٢] أخرجه مسلم (١٨٣٧).

[٣] معاني القرآن، للزجاج (٢/ ١١٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اختلالٌ [١].

ثانيًا: الخُلَّة باعتبارها صفةً من صفات الله تعالى

هي صفةٌ فعليةٌ ثابتةٌ لله تعالى على ما يليقُ بجلاله وعظمته، وقد دل عليها الكتابُ والسُّنة، كما في قوله تعالى: {وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥} [النساء:١٢٥]، وكما ورد في الحديث: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**».

والخُلَّةُ لله تعالى هي أعظمُ مقامات العبد عند الله، وهي أرفعُ من مقام المحبة؛ حيث ثبتت محبةُ الله لعباده ومحبتهم له؛ ولكن الخُلَّة لم تثبُتْ إلا لاثنين من بني آدمَ، وهما إبراهيمُ ومحمدٌ عليهما أفضلُ الصلاةِ والسلامِ، كما ورد في الآية والحديث.

ولذلك من الخطأ قولُ بعض الناس: «إن محمدًا حبيبُ الله، وإبراهيمَ خليلُ الله»، وهذا لجهلهم بأن مرتبةَ الخُلَّةِ هي أعلى درجات ومقامات المحبة.

وأما حديثُ التِّرمذي عن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ: «**قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ،**

[١] معاني القرآن، للنحاس(٢/ ٢٠١).

وَعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ...» [١]: فهو حديثٌ ضعيفٌ كما نصَّ عليه العلامة محمد ناصر الدين الألباني وغيرُه من أهل العلم.

وفي خُلَّتِه ﷺ لربِّه ﷻ بيانٌ لفضله وعلوِّ منزلتِه وتكريمه، ولذا ينبغي الحذرُ من مخالفة أمره، والجِدُّ في اتباع هَدْيِه[٢].

ثالثًا: قولُ بعض الصحابة: «أوصاني خليلي» ونحو ذلك: يثبتون بذلك مدى محبَّتِهم لرسول الله ﷺ، وأنها قد بلغت أعلاها وأكمَلَها من جانبهم للرسول الله ﷺ، ولا يلزمُ من هذا حصولُ الخُلَّة منه لهم عليهم السلام، فهم أصحابُه؛ ولكنه عليه السلام نفى الخُلَّةَ من جانبه لأحد المخلوقين؛ حيث أخلَصَها لله وحدَه لا شريكَ له.

وبناءً على ذلك: ليس هناك أدنى تعارضٍ؛ لأن المنفيَّ في الخُلَّة هنا غيرُ المُثبَتِ، فالرسولُ ﷺ نفى خُلَّتَه لغيرِ الله تعالى؛ لكنه لم يمنَعْ غيرَه أن يتَّخِذَه

---

[١] انظر: ضعيف سنن الترمذي للألباني (٣١٤٨).

[٢] فتح الباري لابن رجب (٣/ ٣٨١)، القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٤٢٥)، المفهم للقرطبي (٦/ ٢٤٢)، زاد المعاد (٣/ ٦٥)، شرح الطحاوية (١٦٤)، تفسير السعدي (٢/ ١٧٨).

خليلًا، كما فعل أبو هريرة وأبو ذرٍّ وأبو الدرداءِ وميمونةُ وأمُّ عطيَّةَ رضي الله عنهم أجمعين[١].

فالنبيُّ ﷺ خليلُ كلِّ مؤمنٍ، وإن لم يتخذ هو أحدًا من الخلق خليلًا[٢].

وصلِّ اللهُمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلِّم!

وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين!

---

[١] انظر: سنن أبي داود (١٤٣٠)ـ وابن ماجه (٣٣٧١ـ٤٠٣٤)، وسنن النسائي (٤٧٠٠).

[٢] انظر: الأنوار الكاشفة للمعلمي (ص١٧٠)، المفهم (٢/ ٣٦٠).

فهـرس الـموضوعــات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١
وجوب العمل بظواهر النصوص وما دل عليه السِّياق	٦
وجوب العمل بالمُحكَم والإيمان بالمتشابه	١٥
فائدة في آية سورة آل عمران	١٦
هل صفاتُ الله تعالىٰ من قبيل المتشابه؟	٢١
أسبابُ استشكالِ النصوصِ أو الاشتباه فيها	٢٢
استحالة التعارض بين النصوص الشرعية الثابتة	٢٣
أسباب وقوع التعارض الظاهري بين النصوص	٢٦
مسالك العلماء عند التعارض	٢٧
التعريف بأشهر المؤلفات في مشكل الحديث	٢٩
[١] نفيُ التعارضِ بين حديث: «لَا عَدْوَىٰ» وبين غيرِه مما يُفيد تأثيرَ العدوىٰ	٣٣
[٢] هل هناك تعارضٌ بين نفيِ النبيِّ ﷺ الطِّيَرةَ ثم إثباتِها في المرأةِ والدَّابةِ والدار والخادم؟	٤٣
[٣] هل شكَّ إبراهيمُ عليه السلام في قدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ؟	٥٢
[٤] هل الظِّلُّ صفةٌ للهِ تعالىٰ؟	٦١
[٥] هل التَّردُّدُ مِن صفاتِ الله تعالىٰ؟	٦٤
[٦] حديث: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ» حديث معلول علىٰ الراجح	٦٧
[٧] هل الدهرُ من أسماءِ الله تعالىٰ؟	٧٠
[٨] هل المَلَلُ والسَّأمُ من صفات الله تعالىٰ؟	٧٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[٩] معنىٰ صفةِ الهَرْوَلةِ الواردةِ في الحديث لله ربِّ العالمين ٨١
[١٠] هل الأسماءُ الحسنىٰ محصورةٌ في تسعةٍ وتسعين؟ ٨٨
[١١] هل الرَّحِمُ جزءٌ من الرحمن، وهل الحَقْو صفةٌ لله تعالىٰ؟ ٩٣
[١٢] معنىٰ الحَقْو، وهل هو صفة لله تعالىٰ؟ ٩٥
[١٣] معنىٰ صفة الصبر في حقِّ الله تعالىٰ ٩٧
[١٤] حديث «خلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ»، وإزالة الإشكال الوارد فيه ١٠١
صورةُ ربِّ العالمين في القيامة التي يعرِفُه بها المؤمنون ١١٥
[١٥] هل صفةُ الرحمةِ مخلوقةٌ، وهل في صفاتِ الله شيءٌ مخلوقٌ؟ ١٢١
[١٦] هل هناك تعارضٌ بين علوِّ الله وفوقيَّتِه علىٰ خلقِه وبين قُربِه منهم ومَعِيَّتِه؟ ١٢٥
[١٧] هل يدُ اللهِ كلتاهما يمينٌ أم إحداهما يمينٌ والأخرىٰ شِمالٌ؟ ١٣٩
[١٨] هل هناك تعارُضٌ بين سِحْرِ النبيِّ ﷺ وعِصْمتِه؟ ١٤٦
[١٩] هل الشُّهُبُ التي تُقذَفُ بها الشياطينُ كان يُرمَىٰ بها في الجاهلية أم كان ذلك بعدَ مَبعَثِ النبيِّ ﷺ؟ ١٥٨
[٢٠] هل الموتىٰ يسمعون أم لا يسمعون؟ ١٦٠
[٢١] درء التعارض عن أحاديث النهي عن الحلِفِ بغير الله والتي توهم الجوازَ ١٦٣
[٢٢] هل الله تعالىٰ يحِلُّ في المخلوقِ، فيمرَضُ ويأكُلُ ويشرَبُ؟ ١٦٨
[٢٣] درء التعارض عن أحاديث الرُّقْية ١٧٤
[٢٤] معنىٰ حديث: «أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّهَا»، «رَبَّتَهَا»، «بَعْلَهَا» ١٨١
[٢٥] هل الدجال يدخل مكة أم لا؟ ١٨٥

[٢٦] معنىٰ تقارب الزمان كعَلَمٍ من أشراط الساعة ١٨٨
[٢٧] هل يجوزُ الاحتجاج بالقدر علىٰ ارتكاب المعاصي؟ ١٩١
[٢٨] إزالةُ التعارض عن أحاديث العلاج بالكي ٢٠١
[٢٩] هل هناك تعارض بين إياس الشيطان أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، وبين وقوع الشرك فيها مرة أخرىٰ؟ ٢٠٦
[٣٠] هل هناك تعارضٌ بين شفاعةِ النبيِّ ﷺ لعمِّه أبي طالبٍ الكافر وبين قول اللهِ تعالىٰ: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾} [المدثر:٤٨]؟ ٢١٠
[٣١] هل النبوة سبعون جزءًا أم ستة وأربعون أم خمسة وأربعون؟ ٢١٧
[٣٢] هل يجوزُ تفضيلُ النبيِّ محمَّدٍ ﷺ علىٰ الأنبياء أم لا؟ ٢١٨
[٣٣] هل آيةُ الدُّخَان التي هي من أشراط الساعة وقعت أم لا؟ ٢٢٢
[٣٤] وقتُ كتابةِ مقاديرِ العبدِ في بطن أمِّه هل بعد الأربعين الأولىٰ أم الثالثة؟ ٢٢٧
[٣٥] هل هناك تعارضٌ بينَ خَلْقِ الله للشرِّ وتقديرِه وبينَ قولِ النبي ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»؟ ٢٣١
[٣٦] هل سِدرةُ المنتهىٰ في السماءِ السابعةِ أم فوقَها أم تحتَها؟ ٢٣٥
[٣٧] هل النساء في الجنَّةِ قلَّةٌ أم كُثُرٌ؟ ٢٣٨
[٣٨] هل الصحابةُ ارتَدُّوا بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ، ويُؤخَذُ بهم ذاتَ الشِّمالِ يومَ القيامة؟ ٢٤١
[٣٩] هل الساعةُ تقومُ علىٰ أهلِ الحقِّ وهم ظاهرون، أم علىٰ شرارِ الخلقِ وجَهَلةِ الناس وسِفْلَتِهم؟ ٢٤٨
[٤٠] هل هناك تعارض بين أن تكونَ الخلافة والإمامة العامة في قريش، وبين أَمْرِ النبي ﷺ بطاعة الأمراء من غير قريش ولو كانوا من العبيد؟ ٢٥٦

www.alukah.net

[٤١] ما أولُ أشراطِ الساعة الكبرىٰ: أهو طلوعُ الشمس من مغربها، أم خروج الدابة، أم الدَّجَّال، أم النارُ التي تَحشُرُ الناسَ من المشرق إلىٰ المغرب؟ ٢٦١

[٤٢] هل الذي يُوزَن في القيامة هو العملُ أم العاملُ أم صحائفُ الأعمال؟ ٢٦٥

[٤٣] هل المُصَوِّرون أشَدُّ الناس عذابًا أم الكفار؟ ٢٧٢

[٤٤] هل هناك تعارضٌ في أحاديث الخُلَّة؟ ٢٧٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب